

الموسيقا كوسيلة علاجية في الحالات العادية وغير العادية

د. عمر نصر الله

مدخل

في مجال العلاج الذي يقمّ للأفراد المرضى، هناك أنواع كثيرة من العلاج، التي تقيّد الإنسان، والتي تم اكتشافها على مرّ السنين خاصة في القرن الأخير، وبالذات في النصف الثاني منه. وقد بلغت ذروتها في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، ومطلع القرن الحادي والعشرين. ومن بين هذه الأنواع المتعددة هناك علاج بسيط جداً ولكنه مهمّ جداً، وهو لا يقل أهمية عن جميع أنواع العلاج، وهذا العلاج هو: **العلاج بالموسيقا**، والذي بالرغم من بساطته وخلوه من التعقيد، فهو على درجة عالية وهامة من المقدرة على حل معضلات كبيرة وصعبة، تواجه الإنسان، ولم يستطع التطور التكنولوجي الهائل الذي توصلت إليه بعض المجتمعات حلها.

إن للموسيقا آثاراً ونتائج على المجتمع البشري بشكل عام، وعلى الإنسان ونفسيته بشكل خاص، تلك النفسية الغامضة التي تؤثر على حياته بأسرها، فالنفس التي تتأثر بالموسيقا تتطلق إلى الخيال، وتبتعد عن المشاكل التي تحاصرها، وبها تستمر الحياة، ويلوح المستقبل المشرق.

مقدمة

اهتم علماء النفس العام، وعلم النفس الموسيقي، وعلم النفس الفسيولوجي، بدراسة أثر الموسيقا في السلوك الإنساني بصورة خاصة؛ وسلوك الكائن الحي بصورة عامة، وحاولوا الوقوف على مدى تأثيرها في السمع، ومدى تأثيرها في الأعصاب، كما قاموا بدراسة طبيعة الأحاسيس والمشاعر التي يستشعرها الفرد عند سماعه للألحان الموسيقية، ودرس العلماء الجوانب الفسيولوجية والوجدانية والقدرة على التذوق الموسيقي، وفي نفس الوقت اهتموا بدراسة العلاج بالموسيقا، والبحث في جميع الطرق والأساليب التي تستعمل لهذه الغاية، لأن الموسيقا في جوهرها تشكل مادة مهمة وقريبة إلى قلوب الأطفال واهتماماتهم، وتؤثر على معظمهم بصورة مباشرة وسريعة. فهي تبعث في نفوسهم السرور والبهجة، وتعمل كوسيلة علاجية على تهذيب سلوكهم وقدرتهم على الاستماع، كما تؤدي إلى الكشف عن المواهب

والإبداع عند الأطفال، كذلك تعمل على تغيير الأفكار السلبية التي تسيطر عليهم، وتخلصهم من عيوب الخجل والانطواء، وعيوب النطق. وهي تبعث في الأطفال الضعفاء والمعاقين الحماس والرغبة في العمل ومشاركة الآخرين. لكن بالرغم من أهميتها الكبيرة، إلا أن العملية التعليمية في جميع المدارس لا تحيطها بالاهتمام الكافي، ما يؤدي إلى جعل العملية التربوية ناقصة وغير متكاملة. وتؤكد (الرحال، 1998) أن الموسيقى تعتبر من الفنون المألوفة والمنتشرة بصورة واضحة في وقتنا الحاضر، وبما أن الأطفال الذين يعانون من تخلف عقلي لم يصلوا إلى المستوى الذي يُمكن العاملين معهم من القيام بتعليمهم القراءة والكتابة بالطرق والأساليب التقليدية المستعملة في جميع المدارس، والتي تناسب الأطفال الأسوياء، لذا كان لا بد من البحث عن طرق وأساليب تعليم وعلاج، يستطيع العاملون من خلالها القيام بالمهام والمسؤوليات المطلوبة منهم، فكان أسلوب العلاج بالموسيقا هو أفضل وأهم الأساليب التي تساعد على تحقيق الأهداف التعليمية والسلوكية لدى الأطفال الذين يعانون من التخلف العقلي (الزيود، 1995).

نبذة تاريخية

كان الإنسان الأول يعيش بمفرده فترة طويلة من الزمن، لذا فقد كان دائما يشعر بأنه معرض للأخطار من المحيط والبيئة التي يعيش فيها، وحتى يتغلب على هذه الأخطار، كان دائما يبدأ بالغناء، الأمر الذي أشعره بالقوة الذاتية الموجودة لديه، ف شعر بشجاعته في محاربة الأخطار. ففي البداية كان يسمع الأصوات الطبيعية، كحفيف أوراق الأشجار، وهبوب الرياح، وصوت المياه في الأنهار. وحاول أن يقلد هذه الأصوات، لكي يشبع رغبته الأساسية من ناحية، ويتفاعل ويترطب من ناحية أخرى. وهكذا كان استعمال الإنسان للموسيقا كأداة للتعبير عن الحاجات والأحاسيس والمشاعر وكوسيلة اتصال (خولي، 1985; العناني، 2002).

عَرَفَ الإنسان الموسيقا في كل مكان من الأماكن التي وصل إليها منذ بدء الحياة، حيث بدأ يسمع تغريد الطيور، وحفيف أوراق الشجر، فدفعته غريزته الاستطلاعية وحب المعرفة، لتمييز الأصوات الموسيقية، وقد أخرجها من الأشجار في الغابات، ثم ابتدع أصواتاً أخرى جديدة من المعادن والحجارة وجلود الحيوانات، وهكذا وبصورة تدريجية اكتشف جميع الأصوات والأنغام، وقام بصناعة الآلات الموسيقية البدائية، التي تطورت بصورة دائمة ومستمرة، حتى وصلت إلى درجة متطورة من النمو والإتقان كما نرى اليوم، حيث أصبحت مجالا لدراسة الباحثين والمهنيين، على اختلاف توجهاتهم وخلفياتهم (زهران، 1985).

ومع تقدم الحضارة ازدهرت الموسيقى، وكان الفراعنة أول أمة بلغت من الثقافة مضرب الأمثال في العالم كله، وتبعهم البابليون واليونان والرومان، وهم أول من استعملت الموسيقى والغناء في سائر احتفالاتهم، وأفراحهم، ومآتمهم، وفي ساحات القتال لتحمس الجنود (العناني، 2002، 264). أما كهنة معبد أبيدوس في مصر القديمة، والذي كان أكبر مراكز الطب في مصر القديمة، فقد كانوا يعالجون مرضاهم بالترتيل المنظم (زهران، 1985). أما في اليونان القديمة فقد استعملت الموسيقى كوسيلة للوصول إلى التأثير البالغ وإثارة الشعور، لدرجة إثارة الغرائز، وفقدان السيطرة عليها. كما استعملت الموسيقى في اليونان الكلاسيكية كعامل مرتبط بالجانب التنظيمي، الذي يهدف إلى المحافظة على القدرة العقلية. واستخدم الرومان الموسيقى في حفلاتهم وطقوسهم الدينية (Amir, 2001; العناني، 2002).

وحسب العقيدة الفلسفية الموجودة لدى أبناء الحضارات الشرقية البعيدة، فإن صحة النفس والجسم هي عبارة عن وضع من التوازن الكامل بين مقياس السرعة والأسلوب. أما الوضع الذي يكون فيه التوازن بين السرعة والأسلوب في جسم الإنسان قليلاً، فإنه يدل على أن الصحة غير سليمة. والموسيقى هي مزيج من السرعة والأسلوب، لذلك عندما يكون الجسم غير صحي، فإن ذلك يعني أن الموسيقى التي تستعمل غير سليمة؛ لأن الموسيقى تعتبر جوهر الحياة والصحة النفسية والجسدية السليمة. وهي موجودة في داخلنا، وفي البيئة الخارجية التي نعيش فيها. أما في الثقافة الغربية فقد كانت الموسيقى مرتبطة بمعتقدات روحية تصوفية ودينية لسنوات طويلة (السابق).

أما الموسيقى عند العرب فيمكن القول بأنها تطورت وازدهرت في الحضارات الإسلامية، يوم نزل القرآن الكريم وسرت تلاوته بالصوت الجميل في النفوس، سريان الطهر والعافية في الجسم السليم، ومن إعجاز القرآن نظمه، وإيقاعه الرائع، وكذلك الأمر بالنسبة للشعائر الدينية الأخرى، كالمديح النبوي، والأذكار والآذان وصلاة الأعياد. وفي العصر العباسي أسست أول جامعة عربية لدراسة العلوم والفنون، والتي بناها المأمون في بغداد، وأسماها الحكمة، ومن موسيقيي العصر العباسي الكندي وابن سينا والفارابي (العناني، 2002). وقد اهتم علماء العرب والمسلمين بالموسيقى واستخدموها في العلاج، مثل الرازي (850 — 932) وابن سينا (980 — 1037) وكلاهما من عباقرة الطب في تلك الفترة، وقد قاما باستخدام الموسيقى في علاج مرضاهم. كما وأدخل العرب استخدام الموسيقى في مستشفيات الأمراض العقلية، قبل قيام الأوروبيين بذلك بحوالي أربعة قرون على الأقل (زهران، 1980).

أما اليوم فقد تطورت الطرق والأساليب في استخدام العلاج بالموسيقا، حيث أصبحت تستعمل في مجالات كثيرة، عادية وغير عادية، وهي تؤدي إلى نتائج إيجابية بصورة واضحة. ومع ذلك نقول أنه يجب أن يكون في استعمال العلاج بالموسيقا، نسبة عالية من الابتكار والملاءمة، لكل حالة من الحالات التي لها الأثر الكبير في عملية العلاج. ونرى اليوم قيام الكثير من الجمعيات الخاصة للعلاج بالموسيقا، وذلك لأهمية الموسيقا ومكانتها، ونرى هذه الجمعيات في الكثير من الدول التي يقدم فيها العلاج على أسس مدروسة Amir, (2001).

تعريف الموسيقا

قام العديد من الباحثين والمختصين بتعريف الموسيقا، حيث أعطى كل واحد منهم تعريفاً يتفق مع وجهة نظره، لكن معظمهم اتفقوا على أن الموسيقا بحد ذاتها هي فن وندمات تندمج مع بعضها لتشكل المتعة التي تتأثر بها العقول والعواطف البشرية، وحتى الكائنات الحية الأخرى. وهي لغة بحد ذاتها شائعة.. لها إمكانيات تعبيرية واسعة.. تعبر عن الأفكار عن طريق الأنغام، عناصرها الرئيسية: اللحن والهارمونية والإيقاع.. تروق للجميع وتناسب كل إنسان.. رجلاً كان أو امرأة.. صغيراً أو كبيراً.. غنياً أو فقيراً.. لكنها تختلف عن اللغة العادية بأنها تصل إلى العواطف والأحاسيس مباشرة بهدف كشفها.

وهي نوع من أنواع الاتصال والتعبير الإنساني، حيث يتم من خلالها الكشف عن خلجات القلب المتألم الحزين، وعن المشاعر والأحاسيس، وعن النفس المرحمة المرتاحة... ومن خلال الموسيقا يستطيع الإنسان أن يأتي بشحنة من الانفعالات التي يوجد فيها الكثير من الرموز المعبرة والمتناسقة، والتي تكون في معزوفة يشعر ويحس بها من يكون ذواً ومرهف الإحساس، ينفعل ويتفاعل وجدانياً وفكرياً، ويحس بالموسيقا أحساساً عميقاً، وينفعل بها انفعالاً مناسباً. أي أن الموسيقا تساهم في علو الروح. وهي ليست مجرد أنغام، ولكنها تعتبر وسيلة اتصال وتواصل، يلتقي من خلالها الذهن والروح عند الفرد الواحد، كما أنها وسيلة فاعلة من الناحية الاجتماعية والتربوية، وتساهم في عمليات التفاهم، وتنمية الحس الشخصي، وتدخل السرور والبهجة والفرح إلى النفوس، وتساعد في جعل العالم من حولنا يبدو جميلاً ورائعاً (شحاته، 1999).

إن كلمة الموسيقا كلمة إغريقية الأصل تطلق على آلهة "ميز"، آلهة الفنون الجميلة، ومعناها العلم والفن معاً. ثم تطورت فيما بعد بعدة لغات وأصبحت تعرف "موزيكا" بالإيطالية،

و"ميوزك" بالإنجليزية، و"موسيقى" بالعربية. وهي تعني العزف والغناء والفن والدمج بين هذه النغمات والألحان (أمير، 1999؛ بنط، 1999؛ دونالد، 1981 لدى شحاته، 1999). ويحصر الفن في أداء أغنية أو عزف مقطوعة موسيقية، أما العلم فيشير إلى العلوم الطبيعية كالجبر والحساب والهندسة والمنطق، وهذه العلوم كلها هي أنواع من "العلم الموزون"، وهي علوم متشابكة مع الموسيقى، يربطها النظام ووحدة الحركة والسكون.

وكلمة موسيقى عند الروم القدماء كانت تدل على معنى أوسع مما اصطلح عليه المتحدثون، بدليل إنهم أطلقوا على آلهتهم التسعة كلمة "موسا" بعد أن اشتقوها من كلمة موسيطة، التي معناها "الإلهام"، فأصل الكلمة "موس" أخذوها وزادوا عليها ألفا فصارت "موسا" ثم أضافوا لها "يقى" لتصبح موسيقى، ثم تسربت الكلمة إلى الأمم الأخرى على هذا الأساس، فنطقت كل أمة بالكلمة حسب اصطلاحها اللغوي (العناني، 2002).

أن الموسيقى بطبيعتها أكثر الفنون استقلالاً، وهي ليست فناً تصويرياً أو تشكلياً لموضوعات يمكن الإشارة إليها، وإلا فإننا نستمد عناصره من الواقع الخارجي مباشرة، كما أنها لا يمكن أن تفهم عن طريق ترجمتها إلى وسيلة أخرى من وسائل التعبير، ويضيف أيضاً أن الموسيقى تنفرد عن سائر الفنون بصفتين أساسيتين: العمومية، والذاتية (فؤاد، 1980). ومن أجل هذه الصفات الفريدة كانت للموسيقا مكانة خاصة لدى المفكرين والفلاسفة، وعدّها بعضهم عنصراً من عناصر فهمه للكون بأسره، حيث أن الفيثاغورسيين فسّروا على أساسها أن الكون كله عدد ونغمة. من ناحية أخرى فإن الموسيقى تعتبر علماً وفناً وعلاجاً، لأنها تنتمي إلى ميدان العلم، والإبداع الفني، وتؤثر في الحالة النفسية والجسدية، حيث ينتظم إيقاع الحركة داخل الجسم عن طريق موجات الموسيقى، من خلال إحداث الاسترخاء أو النشاط المفيد للحالة المرضية.

للموسيقا أهمية كبيرة، لأنها تعتبر وسيلة اتصال من خلال الصوت، ولكنها تختلف عن الكلام بسبب جهازها الخاص بالتعريف، حيث أنها تستخدم كنوع مميز من الاتصال، إذ تعتبر أحيانا أهم من الكلام، فهي تعبّر بصورة أوسع بكثير عن الشعور من أي كلام يقال. وفي معظم الحالات، فإن الكلام لا يكفي للتعبير عن الشعور، لذا فإن الموسيقى وجدت حتى يستطيع الإنسان أن يعبّر بها عن شعوره بصورة أوضح، وفي نهاية الأمر، فإن الموسيقى تعتبر ظاهرة اجتماعية، ووسيلة اتصال، تجمع بين النفس والروح والجسد.

وعليه تعتبر الموسيقى من أقدم الفنون التي استعملها الإنسان، والتي كانت بدايتها عبارة عن إيقاعات لأصوات تسمع في الطبيعة مثل: الماء والرياح والنار، وقد استخدمت لعدة أهداف

منها: التحذير من الأخطار، وإخافة الزوار غير المرغوب في وجودهم، أو وسيلة للتعبير عن المشاعر والعواطف، ومغازلة الفتيات (شحاته، 1999).

أنواع الموسيقى وأهدافها التعليمية

للموسيقى أنواع كثيرة ومتعددة ومختلفة، وذلك تبعاً لاستخداماتها واستعمالاتها، وتبعاً للشعوب والأمم المختلفة التي تنشأ فيها، والتي تتميز وفقاً لها، أي أن لموسيقا كل الشعوب طابعاً خاصاً ومميزاً، يختلف أو يتقارب مع الشعوب الأخرى. وكذلك بالنسبة لاستخداماتها التي تختلف في أشكالها من مجتمع لآخر، فمنها المستخدم للعلاج والمتعة والترفيه والهدوء والراحة. وفي هذا المجال سوف نتحدث عن أنواع الموسيقى التي تستعمل في مراحل العلاج المختلفة، من جانب الأخصائيين، للأفراد الذين هم بحاجة لمثل هذا النوع من العلاج، وتضم الأنواع الآتية:

1. الموسيقى الهادئة: يتميز هذا النوع من الموسيقى بكون إيقاعاته هادئة وبسيطة، ويكون في العادة مكرراً وزمنه سريع، وتعطي لسامعها القوة عندما يستمع إليها، أي أنها تستخدم في عملية تنشيط المستمعين وإخراجهم من أجواء الكسل والاكتئاب، خصوصاً الذين يعانون من التخلف العقلي، أو الذين يعانون من أجواء الكسل والشعور بالضعف، وعدم القوة أو الرغبة في عمل أي شيء.
2. الموسيقى المنشطة: يتميز هذا النوع بالإيقاع السريع والمتقطع، وهي من الناحية الزمنية سريعة، وتعطي لسامعها القوة والشعور الخاص، كما وتعمل على تنشيطه وإخراجه من أجواء الاكتئاب والخمول، وبطء الحركة والتناقل. أي أنها تدفع المستمع لبدء العمل، والخروج مما يعاني منه من مشاعر وأحاسيس سيئة.
3. الموسيقى السارة: يتميز هذا النوع من الموسيقى بأنه متوسط الهدوء والسرعة والزمن والتكرار، وفي العادة يستخدم من أجل إدخال السرور والفرح والمتعة إلى قلوب الأفراد الذين يستمعون إليه، لذا فإن له إيقاعاً خاصاً، يحمل طابع البهجة وتحريك العواطف.
4. الموسيقى المنومة: يتميز هذا النوع من الموسيقى بأنه ذو إيقاع خاص غير محدد وغير متواصل، كما وتمتاز هذه الموسيقى بكونها هادئة، وزمنها بطيء، الأمر الذي يجعلها تؤثر بصورة واضحة ومباشرة على المستمع، ما يؤدي إلى سيطرة

الاسترخاء عليه، حتى يصل إلى النوم. ولهذا النوع استعمال لا بأس به في حالات علاج الأطفال المتخلفين، أو حتى الأفراد العاديين.

وبصورة عامة يمكن استعمال جميع أنواع الموسيقى خلال التعامل مع الأطفال من الأجيال والمستويات العقلية المختلفة، ويكون لهذا الاستعمال في معظم الحالات نتائج إيجابية واضحة تظهر على سلوكياتهم، وتعاملهم وتفاعلهم مع الآخرين من حولهم، في المواقف الاجتماعية والتعليمية والإنسانية المختلفة.

أي أن لاستعمال الموسيقى في أي مجال أهدافاً تعليمية خاصة، وقد بدأ استعمالها مع بدء وجود الموسيقى في زمن اليونانيين، حيث كانت تستخدم للعلاج؛ لأن تأثيراتها متعددة على الأفراد العاديين، أو الذين يعانون من تخلف عقلي. فالهدف من استخدام الموسيقى بالنسبة للذين يعانون من التخلف والمعاقين هو: التشديد على المواضيع التي لها علاقة مباشرة بعملية الإدراك والعقل والقدرة على التصرف والتعامل والتطور، والقدرة على التعلم لدى الطلاب الذين يتعلمون في إطار التربية الخاصة ومجالاتها المختلفة. هذا بالإضافة لكون الموسيقى من المواد العلمية التي تعمل على علاج الطلاب من خلال تقوية الروح المعنوية لديهم، والقدرة على التخلص مما تسببه لهم الإعاقة، وما تتركه من آثار نفسية سيئة، تؤثر على جميع تفاعلاتهم ومعاملاتهم مع الآخرين من حولهم (شحاته، 1999).

ولأن للموسيقى تأثيرات متعددة ومتنوعة، فإن أهداف ومجالات استخدامها متعددة وكثيرة نذكر منها:

1. الجانب الشعوري النفسي: تهتم الأهداف في هذا المجال بتطوير الوعي الداخلي للفرد المستمع بما يحدث حوله في العالم أو المحيط الذي يتواجد فيه، حتى يصل إلى القدرة للتعبير عن المشاعر، وتطوير الثقة بالنفس، والخروج من الأجواء المحبطة التي يتواجد فيها، ويستطيع التخلص من سلبيات التخلف والإعاقة، وإحداث الرغبة للتعلم، وإحداث السعادة للنفس، ووجود الأسباب للفرح في الحياة.
2. الجانب الاجتماعي والحركي: في هذا المجال تُعنى أهداف استعمال الموسيقى بتطوير وتحسين القدرة على التعاون مع الآخرين في الأعمال الاجتماعية، والمشاركة في كل ما يقومون به من أعمال، أو القدرة على السيطرة والقيادة والاستماع للآخرين. ويهتم هذا النوع من الموسيقى، بتحسين التآزر الحركي، ويهدف إلى تطوير هذا الجانب من خلال الاستماع والتفاعل الصوتي والحركي، فمثلاً يعمل على التآزر والتلاؤم السمعي والحركي، والتلاؤم في حركات اليدين، ويمكن الاستفادة من هذا

التلاؤم والتآزر في عملية تقوية العضلات الدقيقة والغليظة، من خلال قيام الأفراد بأداء الحركات والتمارين المناسبة مع الموسيقى.

3. الجانب اللغوي والعقلي والاتصال مع الآخرين: في هذا المجال تستخدم الموسيقى من أجل تطوير القدرات اللغوية لدى الفرد، فهي تساعده على تطوير القدرات الاتصالية في جميع مجالات الحياة. أي أنها تستخدم من أجل العمل على تحسين القدرة على الإدراك والتمييز والذاكرة السماعية. وجميعها مهمة لتطوير اللغة، وتطوير الأصوات والمحادثات اللغوية، والقدرة على التعبير الشفهي أو الكتابي، عن طريق الغناء، أو العزف الفردي أو الجماعي. هذا بالإضافة إلى تعلم المصطلحات، وتعلم مواضيع تعليمية علمية متعددة، أساسية وضرورية للطالب المعاق، مثل: أيام الأسبوع، والفصول، والتعامل مع متطلبات الحياة اليومية، كالسوق والسفريات. كذلك تعمل الموسيقى على تحسين وتنظيم التفكير، فهي تنظم الأفكار المخزنة في الذهن، فكلما كانت الأفكار منظمة ومرتبطة أكثر، كان حب الطفل أو الطالب للتعلم أكثر وأكبر.

4. الجانب الموسيقي الروحي: يهتم هذا الجانب من الموسيقى بتحسين القدرة الموسيقية الإبداعية لدى الأفراد بصورة عامة، وتطوير الأهداف التعليمية التي تركز على قدرة الأفراد على الاستماع للموسيقى وتذوقها. وهذا النوع يعمل على الكشف عن الميول الموسيقية لدى الطلاب بصورة عامة، والطلاب الذين يعانون من التخلف بصورة خاصة. كما ويركز هذا الجانب على هدف تعلم الموسيقى من أجل تحقيق أهداف روحية، حتى يكون بالإمكان الوصول إلى متعة روحية لدى المستمع، ما يؤدي إلى حدوث اتصال مع الجانب الروحي الداخلي لدى الفرد، وبالتالي إلى حدوث تذوق للنواحي والجوانب الجمالية المختلفة (الرحال، 1998؛ شحاته، 1999).

الموسيقا كعلاج:

يعتبر البعض الموسيقى أقدم الفنون، وقد تكون أقدم وسيلة علاجية بالفنون، وربما أقدم وسيلة علاجية على الإطلاق، وهذا واضح من الممارسات البدائية العلاجية التي يقوم بها المعالج أو الساحر بعملياته العلاجية، وهو من أهم الحاضرين الذين يقومون بالغناء، أو ضرب الطبول، أو خض "الخرأخيش". وفي الحضارات القديمة في بلاد ما بين الرافدين، وفي اليونان ومصر، استعملت الموسيقى، كما يضيف الإغريقيون مثل أفلاطون وأرسطو وغيرهما

من الفلاسفة الإغريق القدماء، أن للموسيقا أهمية كبيرة، وخاصة في ميدان التعليم، والعلاقات الإنسانية، والفن، والاحتفالات الدينية، والحياة العامة، كما أنها أصبحت ضرورية للمحافظة على الصحة العقلية والجسمية، ولعلاج الأمراض الوظيفية، وحتى الأمراض العضوية، وهي جزء أساسي في الطقوس العلاجية (كمال، 1994; زهران، 1985).

أما العرب فأنهم لم يجهلوا فائدة الموسيقى في الشفاء من بعض الأمراض النفسية والعصبية والعقلية، فالرازي كان في أول حياته موسيقياً وعازفاً ماهراً على العود، ثم ترك ذلك، وأقبل على دراسة كتب الطب والكيمياء، ويبدو أن ذلك لم يمنعه من استخدام الموسيقى في أغراض العلاج، وقد قام الرازي بدراسة فائدة الموسيقى في شفاء الأمراض وتسكين الآلام، وقد توصل إلى هذه النتيجة بعد تجارب كثيرة قام بها (كلاس، 2001). وللفارابي دور هام في العلاج بالموسيقا، فقد وصل في علم صناعة الموسيقى وعملها إلى الأهداف التي حددها، وأتقنها إتقاناً خاصاً، ويقال أنه هو الذي صنع آلة القانون وعزف عليها مرة فأضحك الحاضرين، ثم عزف ثانية فأبكاهم، ثم عزف الثالثة فأنامهم. كما أن ابن سينا اتبع خطى الفارابي في نظرياته الموسيقية، حيث برع فيها نظرياً وعملياً، وعالجها في عدة كتب، لم يبق منها إلا ثلاثة: إثنان باللغة العربية، والثالث بالفارسية. وكتابه "الشفاء" هو خلاصة ما جاء في موسيقى الشفاء، ويذكر ابن أبي الطيب أن لابن سينا أيضاً كتاباً آخر في الموسيقا يدعى "المدخل إلى علم صناعه الموسيقا". ويمكن القول وبصورة مؤكدة بأن العرب قد ادخلوا الموسيقا إلى مستشفيات الأمراض العقلية قبل أوروبا بحوالي أربعة قرون على الأقل.

مفهوم العلاج: هو العلم والأساليب والفنون التي من خلالها يمكن خلق التأثير الفعال والمجدي لمشاكل السلوك، وذلك من خلال استعمال كل وسيلة متوفرة، والتي تجيب على متطلبات المهنة وأسرارها. وإن أهداف التأثير، هي العمل على تغيير السلوك للدرجة التي يكون معها مناسباً كما هو مقبول داخل المجتمع، وتكون مجدية وفعالة بصورة كافية للفرد" (Masserman, 1966, pp110).

لذلك فإن العلاج بالموسيقا نعرفه من وجهة النظر التي تسأل: من هو الذي يعمل فيها؟ وما هي وظيفته؟ وعليه فإن المعالج بالموسيقا هو أولاً وقبل كل شيء، ذلك الشخص المتخصص في السلوكيات، وكذلك يمكن القول بأن العلاج بالموسيقا هو واحد من العلوم السلوكية، في الوقت الذي يتخصص علم السلوك في سلوك الإنسان في جميع جوانبه ومجالاته، وفي العوامل التي تؤثر على تعديل السلوك. ويجب أن نذكر من بين السلوكيين، الأخصائيين النفسيين أو علماء الاجتماع والتربية، وينضم إليهم العاملون في علاج

الاضطرابات اللغوية، ومعلمو التربية الخاصة (Michel, 1977). وبمعنى آخر فإن العلاج بالموسيقا مرتبط ومتعلق بإنجازات ونتائج العلوم السلوكية الأخرى، ومرتبطة أيضاً بها نفسها. وهي تتركز في الإنسان وسلوكياته، وبالذات سلوكه مع الموسيقا. لذلك فإن المعالج بالموسيقا يجب أن يكون ملماً بالعلوم السلوكية، وبالترابط بين التفاعل الإنساني مع الموسيقا. إن العلاج بالموسيقا مهنة متنشعبة، متفرعة ومتعددة الجوانب والاستعمالات، وهو بمثابة جسر بين العلم والفن، لذا فإن لهذا العلاج تعريفات عديدة نذكر منها ما جاء في كتاب بروسكيا.

(Bruscia, 1987) الخاص، الذي تناول فيه موضوع تعريف مهنة العلاج بالموسيقا. أما تعريف الاتحاد الأمريكي للمداواة والعلاج بالموسيقا، والذي ظهر عام 1951، فإنه ينص على أن: الموسيقا تستعمل من أجل تحقيق أهداف علاجية مثل: المحافظة على التوازن الداخلي والخارجي عند الإنسان، والحفاظ على الصحة النفسية والجسدية، وتحسينها وصيانتها.

وهذا يعتبر بمثابة تثبيت وتطبيق موضوعي نوعي للموسيقا، وذلك من خلال إرشاد المريض بالموسيقا في المحيط العلاجي، حتى يكون بالإمكان الوصول إلى التغيرات المطلوبة في السلوك والتصرفات. إن هذه التغيرات تمكّن المريض من لمس الفهم والمعرفة والإدراك الأكبر لنفسه وللعالم الخارجي من حوله، ونتيجة لذلك يتأقلم ويتكيف بصورة أفضل مع البيئة أو المحيط الذي يعيش فيه، أي أنه يندمج بصورة أفضل مع بيئته. ومن الجدير بالذكر أن تعريف الاتحاد الإقليمي الأمريكي للعلاج بالموسيقا، والذي صدر عام 1951، يتحدث بوضوح عن التغيرات المرجوة في تصرفات وسلوك الأفراد، والمقصود هنا التغيرات التي تكون واضحة للعين، ويمكن رؤيتها ومشاهدتها وقياسها. تماماً كما يؤمن أصحاب المذهب السلوكي في علم النفس.

وترى (Alvin, 1975:171) أن العلاج بالموسيقا، هو عبارة عن استعمال الموسيقا بصورة مسيطر عليها، وهو موجه من أجل العلاج والتأهيل والتربية، مع إيمان قوي بأن الصغار وال كبار الذين يعانون من أعراض جسمية أو عقلية أو نفسية يتأثرون بها ويشفون من هذه الأعراض. ويؤكد تعريف (Kenny, 1982:176) على أن المداواة والعلاج بالموسيقا هي مرحلة وشكل، ومسيرة نوعية تمتاز بالأسس العلاجية الموسيقية، من أجل مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع. والمعالج بالموسيقا يعتبر مصدر المعرفة والقدرة على التدريب، وهو الذي يساعد على توصيل المتعة الموسيقية للمرضى، والتي تصل إلى مستوى المتعة والصحة

والعافية. وقد قام الاتحاد الفرنسي للعلاج بالموسيقا في عام 1984 بتعريف العلاج بالموسيقا على أنه استعمال للنغمات الموسيقية بأنواعها في علاج الأفراد الذين يعانون من مشاكل وصعوبات صحية جسدية ونفسية. وقد عرف بروسكيا (Bruscia, 1987) العلاج بالموسيقا بأنه مرحلة متواصلة من التدخل، الذي من خلاله يساعد من يقوم بالعلاج المريض على الوصول إلى الصحة النفسية والجسدية السليمة، بوساطة استعمال الخبرة والحكمة والبهجة الروحية الموسيقية، وذلك من خلال تطوير العلاقات بينهما، التي نصل من خلالها إلى التغيير في الجوانب الجسدية والنفسية.

من التعريفات المختلفة التي ذكرت، يتبين لنا أن العلاج بالموسيقا هو عبارة عن مسار، تشارك فيه ثلاثة عناصر أساسية هي: المعالج والمريض والموسيقا. وأن استعمال المعالج للموسيقا يكون من خلال وسائل موسيقية. والمعالج بالموسيقا هو شخص مهني متدرب، ويملك المعرفة والخبرة المطلوبة للتدخل بصورة مهنية. ويجب أن يكون معترفاً به ومقبولاً من الاتحاد المهني، والسلطات الخاصة والمناسبة. وعليه أن يكون ذا شخصية مناسبة ومقبولة، ولديه القدرة على التواصل، والقدرة على الاستماع والإنصات، وأن يكون على درجة عالية من الإحساس والشعور المرهف، ولديه القدرة على الإبداع. أما بخصوص المريض، فهو الذي يأتي للحصول على المساعدة من المعالج بالموسيقا، بسبب الضيق الذي يشعر به، والأزمات النفسية التي يعاني منها، أو الأزمات الصحية والجسدية، والقرارات العقلية، والصعوبات السلوكية الاجتماعية والروحية.

إن مرحلة العلاج بالموسيقا تحدث عادة في غرفة العلاج الخاصة بالموسيقا، أو العيادة الإكلينيكية، أو المكتب الخاص للعلاج، ولكن في بعض الأحيان يحدث العلاج بجانب فراش المريض في البيت أو في المستشفى. ومرحلة العلاج قد تكون قصيرة بين لقائين إلى ستة لقاءات، أو طويلة لبضع سنوات. وفي بعض الأحيان يكون التدخل العلاجي لمرة واحدة فقط، مثل العمل في المستشفى مع مرضى موجودين لفترة زمنية قصيرة، وفي مثل هذه الحالة يمر الفرد المعالج بمرحلة من التغيرات التدريجية، التي من خلالها يصل إلى الوضع المطلوب، ومن الممكن أن يكون هذا بالنسبة للمعالج، هو التدخل الذي يهدف إلى إحداث التغير الخاص المطلوب عند المريض، وإن هذه التغيرات من الممكن أن تكون موسيقية أو تغيرات خارجية أخرى. وبما أن هدف العلاج بالموسيقا هو التأثير على الأداء الوظيفي للفرد المعالج في حياته اليومية، فإن التغيير غير الموسيقي يعتبر معياراً أكثر وضوحاً للعلاج من التغيرات الموسيقية. والتغيير يجب أن يكون علاجاً طبيعياً، أي أن عليه أن يكون مرتبطاً بصورة

مباشرة بالمشكلة التي يريد المعالج علاجها. وعليه أن يؤدي إلى اقتراب المريض من وضع صحي جيد.

إن مرحلة العلاج بالموسيقا هي مرحلة تطويرية، يتم من خلالها العمل على تطوير شخصية الفرد وقدراته، ثم تشخيص وضعه على يد المعالج، وإقرار شكل العلاج وأهدافه، التي يبدأ العمل بها حسب المرحلة التطورية التي يوجد فيها المريض. وحتى يكون بالإمكان إقرار ذلك، يجب القيام بفحص المرحلة التي يمر فيها المريض، من ناحية التطور العقلي والمعرفي والموسيقي والجسدي والحركي، والنضج الانفعالي. والهدف من العلاج هو تطور المريض في واحدة من هذه المجالات. ومن المؤكد أنه يوجد في نفس المرحلة تطور تدريجي. ونستطيع أن نرى في تأثير الموسيقا على المرضى الذين يعالجون، أنها عبارة عن نوع من اللعب الانفتاحي، يساعد المحتاجين في التغلب على المشاكل التطورية التي يعانون منها.

وفي هذا المجال يقول برنشتاين (Bernstein, 1966): إن تأليف الموسيقا هو نوع من اللعب، يقوم الملحن فيه باللعب في تعديل أشكال الأنغام، ويلعب بصورة لينة ومرنة وانفعالية، ويقوم بأعمال بهلوانية مع الإيقاعات والألوان. وعليه فإننا نستطيع القول بأن الموسيقا في غرفة العلاج هي مادة للعب، وفعاليات اللعب. كما ويمكن أن يتم من خلال العلاج بالموسيقا التركيز على المسار الشخصي بين المريض والمعالج، وبين المريض والمرضى الآخرين، وذلك من خلال القيام بهذا العلاج بصورة فردية أو جماعية، أو تنظيم ورشات عمل متنوعة، بين المريض وبين أشخاص مهمين، لهم تأثير خاص في حياته.

إن العلاقة الشخصية التي تحدث بين المريض والمعالج تتبع من خلال بناء الثقة المتبادلة، والاختلاط الذي يتم بينهما، وردة الفعل لدى المريض، وهذا يحدث بوساطة الكلمات المنطوقة، والموسيقا. أي أن للموسيقا تأثيراً مباشراً على المريض، وتعتبر سبباً مهماً يؤدي إلى التغيير بوساطة العلاج. ومن ناحية أخرى فإن الهدف الرئيس للمعالج هو مساعدة المريض على الاتصال مباشرة بالموسيقا، ووظيفته اختيار الموسيقا المناسبة، أو تأليف موسيقا مشتركة مع المريض، تؤدي إلى بدء المحادثة بين المريض والمعالج. ويساعد العلاج بالموسيقا على تحسين صورة الذات، والوعي بالجسد، كما ينعكس إيجاباً في زيادة مهارات التواصل مع الآخرين، وزيادة القدرة على استخدام الطاقة الموجودة لدى الفرد بشكل هادف، والإقلاع عن السلوك غير التكيفي للأفراد، وزيادة التفاعل مع النظراء، وتحسين المهارات الحركية،

وتحسين الاستقبال السمعي، والتحفيز على التعبير والضبط الوجداني، وزيادة القدرة على الاستقلالية والتوجيه الذاتي، وتحسين القدرة على الإبداع والتخيل.

إن جمهور المرضى الذي نتحدث عنه في هذا المجال يضم: نساء حوامل على أبواب الولادة. ونساء حوامل مع أخطار عالية، وأولاد في المستشفيات، ومرضى الأمراض المتأصلة والدائمة، ومرضى الأمراض الصعبة التي لا أمل في شفائها، والأمراض العقلية الصعبة، والتخلف العقلي في مدارس التربية الخاصة، والأمراض الأخرى بأنواعها المتعددة. واليوم تستعمل الموسيقى لتهدئة وتقليل الألم والتوتر والاكنتاب، في جميع مجالات الحياة، حيث يستعمل إسماع الموسيقى كأساس للعلاج الطبي بدون استعمال كلمات، أي إسماع موسيقى مع إعطاء أوامر ومقترحات كلامية لهدف العلاج للمريض؛ وذلك حتى لا ينتج عنها ضغط وتوتر في الشرايين. والموسيقى الهادئة والرزينة تقلل من الضغط الشرياني، وتعالج الجسد.

العلاج بالموسيقا والحركة

هو نوع من التعامل الموسيقي مع المريض، بهدف علاجي، ويسعى إلى إيجاد حل لمشكلة المريض، والتغلب على الاضطرابات والأمراض النفسية، والوصول إلى حالة من التوافق العقلي والجسدي والصحة النفسية. والموسيقا من أحب الفنون التي يستجيب لها الكائن الحي بصورة عامة والإنسان بصورة خاصة، ولا يحتاج تفهمها وتدوقها إلى ثقافة خاصة وقدرات مميزة، أو إلمام بقواعدها.

ولأن الموسيقا تتميز بعنصر الغموض والإبهام، فإن التدوق الموسيقي لدى الفرد المستمع يتضمن نوعاً من الإسقاط، فعلماء النفس واطبوا على استخدامها كثيراً للإسقاط، ووجدوا أنها وسيلة إسقاطية صالحة وجيدة، ويستطيع المفحوص أن يشكلها وفق ما يترأى له، فيسقط عليها ما يجيش في أعماقه من الانفعالات والخبرات الخاصة. والعلاج الذي نتحدث عنه يقوم على عملية مستمرة تشترك فيها ثلاثة عناصر أساسية هي: المعالج، والمريض، والموسيقا والحركات المتنوعة.

وحتى نستطيع الوصول إلى مشاعر المريض، نستطيع الاستعانة بالاختبارات الموسيقية الإسقاطية، والتي يمكن استخدامها أيضاً في الكشف عن الرغبات والحاجات اللاشعورية والصراعات الكامنة. وقد يطلب المريض مقطوعة موسيقية تعبر عن مشاعره وأحاسيسه الخاصة. ويساعد ذلك في عملية تشخيص حالة المريض، أي أنه يمكن القول أن أهداف

التشخيص الموسيقي هي الحصول على معلومات تساعد في فهم حاجات المريض، وفي اختيار أساليب العلاج والأهداف المناسبة له، وغالبا ما يكون التشخيص الموسيقي جزءاً من برنامج التشخيصات المعدة للفرد، سواء أكان طالب مدرسة أو مريضاً (زهرا، 1980). وبالنسبة للطلاب الذين يعانون من التخلف والمعاقين، فهم كغيرهم من الطلاب العاديين، ويمكن استخدام التشخيص بالموسيقا كجزء من التشخيص العام المعد لهم.

وللعلاج بالموسيقا أساليب عديدة ومتنوعة، منها الاستماع للموسيقا والإيقاع الحركي، وتستخدم الموسيقا مع الإيقاع الحركي، بهدف إثارة المشاعر الداخلية الكامنة، وتفريغ الشحنات، والتخلص من الضغوط الداخلية، بحرية الحركة المصاحبة للموسيقا. إن العلاج بالموسيقا يستخدم مع الجميع، مهما اختلف المرض أو العمر، أو الحالة الاجتماعية والاقتصادية، فهي تستخدم في حل جميع المشاكل، سواء كانت سلوكية أو عاطفية أو كانت في النوم. ويتطلب العلاج بالموسيقا تشخيص المريض، ومن ثم تحديد أهداف العلاج التي تتناسب مع المراحل التطورية المريض، وقدراته الحالية، وحتى يتحدد موقع المريض من ناحية التطور العقلي والحركي والاجتماعي والانفعالي النفسي، كل ذلك من أجل تطوير المريض في المجالات المذكورة. ويشير الباحثون في هذا المجال إلى إن علاج أبناء البشر بواسطة الموسيقا Music Therapy أصبح في السنوات الأخيرة موضوعاً قائماً بذاته في العالم الغربي. وهو يقوم على استغلال الإمكانيات العلاجية الموجودة في المكونات الأساسية للموسيقا، وفي الموسيقا كفن معقد. وهذه المكونات الأساسية هي Components: وقت (Rhythem & Tempo, Dgration) وارتفاع (Frequency, Pitch) وقوة (Inrwniry) وتنويع، (Timbre, Tone Colour) وكل هذا يهدف إلى الحفاظ على الأجزاء السليمة لدى المريض، ولتمكينه من التغيرات التي تساعده في العيش بطريقة أفضل.

إن العلاج بالموسيقا يتحقق من خلال وجود علاقة تضم مريضاً أو عدة مرضى، مع معالج يكون في العادة مدرباً تدريباً خاصاً على استعمال الموسيقا استعمالاً مميزاً، وذلك من خلال تخصصه الذي يضم تعلم مواضيع في مجالات متعددة، ويتطلب درجة مهارة مهنية عالية في الموسيقا، والعلاج بها.

إن أصل الكلمة (Terapia) مأخوذ من اللغة اليونانية، وهي تعني خدمة أو علاجاً. ولهذا السبب فإن كلمة علاج تشير إلى وجود مرحلة مستمرة، وليس إلى علاج كنتاج نهائي فقط. وفي العلاج بالموسيقا يوجد عاملان مساعدان أساسيان، أولاً: الموسيقا بحد ذاتها التي تتوسط بين المعالج والمريض، وتؤدي إلى إقامة علاقات إنسانية، وفي نفس الوقت بين

المريض ونفسه، وتؤدي إلى علاقات داخلية شخصية. أما العامل الثاني، فهو المعالج الذي يعمل على مساعدة المريض في الانتقال إلى خبرات تعتمد على الأنغام، وذلك كمرسل ومستقبل، وتطوير مهارات وعلاقات هامة وضرورية لصحته. لذا فإن الفرضية التي تقول بأن للموسيقا تأثيراً إيجابياً على الجسم والنفس مقبولة دون شك في أجزاء مختلفة من العالم، في الشرق والغرب، وفي العالم القديم، وفي أيامنا، وفي المجتمعات المركبة والمجتمعات البسيطة (Alvin, 1975:60-70).

إن إمعان النظر في المواد المكتوبة من الثقافات والحضارات الماضية المتطورة، والاستماع إلى التسجيلات الطبية للمجتمعات التقليدية، يعلمنا أنه توجد مبادئ معينة لاستعمال الموسيقى، تعيد نفسها بصورة مفاجئة في ثقافات وحضارات أخرى. وتظهر هذه المبادئ، وكأنها متساوية، عندما تستعمل في أرض الواقع، وتظهر وكأنها مختلفة عندما نحاول فحص الرؤية والتوضيح العلاجي التي تُعطى لهم. وعلى سبيل المثال فإن إحداث الخلل في التوازن بين العناصر المختلفة، من خلال إثارة زائدة بوساطة الأنغام الموسيقية، وكما هو معروف في المجتمعات التقليدية التي تقيم طقوس إثارة، والتي وصفت في الثقافات الماضية المتطورة، والتي تستعمل حتى اليوم في العلاج بالموسيقا.

إن الفعاليات بحد ذاتها تتشابه في الجانب العملي، الذي تحدثنا عنه، والذي تميز من خلال الإثارة الصاخبة والقوية، وذلك بوساطة أدوات الطرق كعامل أساسي. وكنتيجة مباشرة من هذه الإثارة تظهر ردود فعل حركية عفوية من المحيطين، وفقدان السيطرة على الذات، من خلال حركات وقفزات مختلفة.

وحسب تأمل المعالج الموسيقي في أيامنا، فإن الإشارة التي تحدث عن طرق الأنغام، وردود الفعل الحركية القوية، والتي تؤدي إلى أحداث التغيرات في الفعاليات الجسدية الضرورية، مثل نبضات العروق ومستوى التنفس، وتدفق الدم في الشرايين، وعملية الهضم وتغير المواد، وحركات العضلات" (Critchly & Henson, 1977:202-233)، أما من ناحية المشاعر، فإن المريض يمر بنوع من التطهر (Cathars) يستطيع من خلاله تحرير عناصر تساعد على التوازن الجسدي (Posthre) وتحرير مشاعر مأسورة، وكل هذا يحدث بوسائل غير لفظية، ودون القيام بالعمل المقبول.

العلاج بالموسيقا.. أسسه وتأثيراته

يقوم العلاج بالموسيقا كغيره من أنواع العلاج المعروفة والمتبعة، على أسس ثابتة وراسخة، تؤثر في المريض، وتكون لها أعراض أو نتائج إيجابية وسلبية. وأهم هذه الأسس هي التي تقول بأن الموسيقا علم وفن وأسلوب علاج، متعدد الأنواع والأشكال.

والموسيقا كغيرها من المواد أو العلوم، تنتمي إلى ميدان العلم، والإبداع الفني، لذا فهي تؤثر في الجانب النفسي والجسدي للمريض، حيث ينتظم إيقاع الحركة داخل الجسم، بوساطة موجات الموسيقا، التي تؤدي إلى إحداث الاسترخاء أو النشاط الذي يفيد بدوره في علاج الحالة المرضية. كما ويفيد في إحداث نسبة معينة من التوافق بين عملية التنفس التي يقوم بها المريض، وسرعة النبض لديه، والحالة الانفعالية التي يشعر بها بصفة خاصة، والحالة النفسية التي تسيطر عليه بصفة عامة.

من ناحية أخرى، فإن كون الموسيقا لغة شائعة بين الناس، وفي المجتمعات المختلفة، ولها إمكانيات تعبيرية واسعة وكبيرة، وذلك بالاعتماد على جميع عناصرها الرئيسية مثل اللحن والهرمونية والإيقاع، فإنها تروق للجميع وتناسب كل فرد (أبو الحب، 1970). أي أن العلاج بالموسيقا، يقوم على أساس مدى تأثيرها في السلوك بصورة عامة، وأثرها الفسيولوجي والاجتماعي والعقلي والتربوي بصورة خاصة.

أثر الموسيقا في السلوك

أكد الباحثون في هذا المجال، على وجود علاقة وثيقة بين المثير الموسيقي، والاستجابة التي تنتج عنه لدى المستمع، كما وأكدوا على أن للموسيقا خصائصها الإيقاعية التي نستجيب لها كمستمعين، بكل الحركات الجسدية التي تصدر عنا، وخفقات قلوبنا، وخيالنا، عندما نستمع لها. كما وتؤثر الموسيقا على مستمعيها، حيث تصدر عنهم استجابات على شكل تغييرات ظاهرية في السلوك لديهم، فمنهم من يبقى صامتا، ولا تصدر عنه أي حركة، ومنهم من يتحرك تحركا واضحا وملحوظا، يكون على شكل هوس.

ومن الجدير ذكره أن الموسيقا تؤثر على مستمعيها بأشكال مختلفة، تختلف باختلاف الجيل والجنس، فمثلا أثرها على الأطفال يختلف عن أثرها على الشباب والشيوخ، ويختلف لدى الذكور عن الإناث. وهذا التأثير يختلف حسب نوع الموسيقا التي نستمع إليها، فهناك الموسيقا الدينية الراقصة التصويرية، أو العسكرية، أو الهادئة، أو الصاخبة، أو موسيقى مع

كلمات. أما بخصوص التفاعل مع الموسيقى، فإنه يحدث عن طريق الاستماع والإحساس السمعي، والمعنى العقلي، والإدراك والتجاوب الانفعالي، الذي قد يصل في بعض الأحيان، إلى التوحد والاندماج مع اللحن، أي أن كل مستمع يتفاعل مع الموسيقى التي يستمع لها، حسب شخصيته وميوله، وهذا يعني ظهور الفروق الفردية بصورة واضحة في المقدرة على التذوق الموسيقي.

ومن الممكن أن تظهر اختلافات فيما يخص نوع الموسيقى المفضلة، كأن تكون سهلة كلاسيكية للرقص، أو كهربائية، أو لأثارة الأحاسيس والمشاعر المختلفة، كأن تهديء وتريح، أو مثيرة تؤدي إلى اليقظة، أو من الممكن أن تكون مثيرة للأعصاب والغضب، ومع ذلك من الصعب أن نجد الإنسان الذي يظهر لا مبالاة تامة، وعدم اهتمام وتدخل، من جميع أنواع الموسيقى التي يسمعاها.

إن العوامل الموجودة في الموسيقى تؤثر علينا، ويظهر لنا تأثيرها على الجسد (Guston, 1968) وخصوصاً الموسيقى الصاخبة، التي تؤدي إلى زيادة في تغير المواد المختلفة في الجسم، وتغير شد العضلات، وإسراع التنفس وتقليل انتظامه، وتغير في ضغط الدم ودقات القلب، وتقليل الحد الأدنى لإثارة الأحاسيس والمشاعر، وتغير في الإفرازات الداخلية. وحسب نظرية الأحاسيس لجيمس لانج (لدى Noy, 1967) نستطيع أن نفهم كيف أن الإصغاء أو الاشتراك في فعالية موسيقية، يؤدي إلى التدخل والتفاعل الشعوري.. إن القطعة الموسيقية سريعة الإيقاع تؤدي إلى سرعة ضغط الدم، وتؤثر على النفس، وتغير المواد في الجسم، ومن المنطوق أن يؤدي هذا إلى الفرح والسرور والتداعي النفسي الحر، الذي يؤدي بدوره إلى فعالية زائدة.

من الناحية الثانية فإن التمرکز في الموسيقى كوسيلة اتصال يحدث قبل الاتصال المنطوق، وإن نقطة الانطلاق هنا هي: أن كل نغمة موسيقية تميز باثنتين من المكونات المادية وهي: درجة تكرار الحدوث والقوة، وفي حالة الإحساس السلبي في تأثير هذه النغمات فإن المقصود هنا بمصطلح إحساس سلبي لدرجة تكرار الحدوث، هو درجة ارتفاع النغمة. (Pitch) أما مصطلح إحساس سلبي لدرجة القوة فهو الإحساس في قوة النغمة (Loudness). بالإضافة لذلك فإن كل مجموعة من الأنغام تتميز من خلال إيقاعها ودرجة سرعتها (Noy, 1967, III). كما وإن اهتمام ورد فعل الطفل على العزف الموسيقي يكون دائماً شعورياً، يعتمد على الأحاسيس والمشاعر، وهو يشبه رد الفعل للأشياء والشخصيات التي يحبها، أي أنهم يفرقون بين المقاطع المعينة التي يحبونها، لذا نراهم يتأثرون بها ويتفاعلون معها. وقد استخدمت

الموسيقا من قبل الإنسان، منذ زمن بعيد لتساعده في التعلم، والتربية والتعليم، من خلال قيامه بالأعمال المختلفة، حتى يستطيع التركيز فيما يعمل، ويستطيع التعاون مع الآخرين حين يطلب منه ذلك، وفي اللهو والغناء والرقص، حين يكون الوقت مناسباً لذلك، كما استخدمت الموسيقا في الحرب، كعامل مشجع ومحفز، أو للهدوء والراحة النفسية.

وتعتبر الموسيقا سلاحاً ذا حدين: فالموسيقا السارة، تشرح الصدر، ونفرح القلب وتشعره بالراحة والسعادة، والموسيقا الحزينة، قد تؤدي إلى المزيد من الحزن والألم الاكتئاب، وتجعل المستمع في حالة توتر كلما استمع إليها، (السابق).

وكما تؤثر الموسيقا على سلوك الإنسان وتصرفاته، فإنها تؤثر أيضاً على الكائنات الحية الأخرى، وما يصدر عنها من تصرفات وأعمال، وهذا يعني أن للموسيقا أثراً كبيراً على جميع الكائنات، والسلوك الذي يصدر عنها في المواقف العادية السهلة، وغير العادية أو الصعبة.

الأثر الفسيولوجي للموسيقا

إن الجهاز العصبي لدى الإنسان بصورة خاصة، والأجهزة الأخرى للجسم بصورة عامة، تقوم بأدوار أساسية وهامة جداً، خصوصاً وأن في جسم الإنسان، توجد مصادر للموسيقا، وبالذات في النبض والنفس، والتي ربما لها تأثير حتى في الحالات التي تكون موجات الصوت الصادرة عنها غير مسموعة، ولكنها موجودة، والدليل على ذلك، أننا نستطيع سماعها بالسماعة الطبية، وتكون هذه الموجات التي تصدر من أجهزة الجسم متناغمة، وتختلف درجة التناغم بينها من فرد لآخر، ومن وقت لآخر، أي حسب صحة وحيوية الفرد، وحالاته الانفعالية المختلفة.

وتعتبر الموسيقا فناً انفعالياً، لذا فهي تؤثر فسيولوجياً على الفرد الذي يستمع إليها، لأنها تؤثر على وظائف أعضاء الجسم، وتجعل الإنسان يقوم بحركات متعددة ذات معنى، مثل تحريك اليد والرأس، والخبط بالرجلين، والتي تؤدي جميعها إلى تغيير النبض والضغط، وسرعة التنفس، أي أننا نفهم من ذلك أن الموسيقا تؤثر في الإنسان تأثيراً شبيه كلي، يدفعه إلى القيام بأنواع مختلفة من الحركات والتصرفات، كما وتؤثر في تأخير التعب العضلي والعقلي، أي الشعور بالتعب، وذلك لأن للموسيقا صوتاً منغمماً إيقاعياً، يحدث ذبذبات في الهواء، هي عبارة عن موجات صوتية تصل إلى الأذن، وتؤثر في طبقتها، وفي العصب السمعي، الذي يقوم بإيصال الرسالة الصوتية للمراكز العصبية في المخ، ما يؤدي إلى جعل

الفرد يدرك الصوت الإيقاعي، ويستمتع باللذة الحسية. ومن ناحية أخرى، فإن الجهاز العصبي، يقوم بحفظ وتخزين الأنغام واستدعائها في الوقت المناسب. والموسيقا بدورها تؤثر في موجات المخ الكهربائية، ونحن نلاحظ مدى تأثير الموسيقا من خلال ملاحظتنا للألم، حين تغني لطفلها برفق وحنان وبطء، فإن ذلك يؤثر على جهازه العصبي، ويجعله يسترخي ويهدأ أو ينام. أيضا تؤثر الموسيقا السريعة والعالية والقصيرة على الأعصاب، بصورة مباشرة. كذلك الأمر بالنسبة للموسيقا الصاخبة. أي أن الخبرة الموسيقية بطبيعتها، تعتبر خبرة حسية إدراكية، تتدرج من الإحساس البسيط، إلى أعلى مستوى من الإحساس والإدراك والاستجابة. ومن الجدير بالذكر في هذا المجال، إجماع الباحثين في الدراسات المختلفة؛ والتي أكدت على الأثر الفسيولوجي للموسيقا، وخصوصا تلك النظرية التي تعرف في علم النفس " بنظرية النبض "، والتي من بين الجوانب التي تذكرها، أنه إذا كانت الذبذبات الصوتية، تعتبر مقياس التقدم في الخط اللحني، وتكون متطابقة مع إيقاعات نبضات قلب الفرد الذي يستمع للموسيقا، فإن ذلك يعني أن الموسيقا مناسبة له، ولا تؤدي إلى إثارة أو تهيج أو انزعاج. أما في حالة انحراف الإيقاع الموسيقي عن الإيقاع العادي والسوي لنبضات قلب المستمع، سواء ذلك بزيادة أو نقصان، فنجد أنه إذا كان تعاقب اللحن بوحدات مقياس النبضات أبطأ من نبضات القلب، فإن ذلك يؤدي إلى إثارة ذكريات هادئة وحزينة وبائسة، أما إذا كانت الوحدات الإيقاعية لحن سريعة بالنسبة لنبضات القلب، فإنها تؤدي إلى إثارة المرح والطرب والنشاط لدى الفرد.

والموسيقا عامل تطوري، ونمو روحي وجسدي، لأنها تحتوي على مادة كثيرة ومتنوعة، تساعد على إغناء الأطفال بملاحظة سريعة للأشياء من حولهم وبصورة دقيقة، كذلك بالنسبة لفهم واستيعاب سريع وصحيح للأشياء. كما وتساعد الموسيقا على تطوير القدرة على الاستمرارية والتركيز. وبالتربية الموسيقية، نحصل على نتائج مدهشة في مجال القدرة على التذكر والاستجابة الجسدية. والموسيقا يتم التعبير عنها، عن طريق حركات الجسم بصورة كلية أو جزئية، وذلك حسب اللحن، وهذه إحدى فعاليات التربية الموسيقية. أيضا عن طريق الموسيقا تتأثر القدرة النفسية للاستجابة المركبة بسهولة تامة، وتعمل على تنمية الحركات السهلة أو الصعبة، اللينة أو القاسية، البطيئة أو السريعة. وتساعد التربية الموسيقية أيضا على الحركة والتوازن الحركي لدى الأطفال الأسوياء والمعاقين والمتخلفين، كل حسب قدراته ونموه، هذا إلى جانب نموه النفسي والحركي، وذلك بالاعتماد على النظرية التي تقول: "بأن

التوازن الحركي لا يمكن فصله عن التوازن العقلي الذهني"، أي أن الموسيقى تعمل على تطوير هذه الجوانب في نفس الوقت، ودون إهمال لأي جانب (زهران، 1997).

الأثر الانفعالي للموسيقا

للموسيقا أثر انفعالي يؤثر في جميع الانفعالات لدى الفرد، ويجعل منها خبرة انفعالية خاصة ومميزة، لذا فهي تعرف كلغة تعبر عن الانفعالات والعواطف والمشاعر، كما أنها أقوى أنواع الفنون تحريكاً للانفعالات والعواطف. والموسيقا تبقى مع الإنسان، وتلازمه في حبه وفرحه، وفي احتفاله وحزنه، وعندما يندمج الفرد مع الموسيقا بكونه مؤدياً أو مستمعاً، فإنه يتعرف على محتواها الانفعالي، فيختبره ويعيشه، أي أن العناصر النفسية في الموسيقا كثيرة، وعلى رأسها، إثارة الانفعالات والمشاعر لدى المستمع، وهي تضعه في مكان ما بين الفرح الشديد، والحزن المفرط، أو بين السعادة والمرح، أو التهيج والاستثارة. أي أنه توجد أصوات من طبيعتها أن تكون مفرحة ومرحة، تتفق مع الحب والحنان والطرب، وأخرى محزنة ومروعة، عند سماعها يتجاوب الفرد انفعالياً وعاطفياً معها (الرحال، 1998). وهذا يعني أن الموسيقا بكل ما تشتمل عليه من تجريد، ومن أنها ليست ذات معان، إلا أنها تنتسب إلى عالم الانفعالات بعمق كبير، وتؤثر في الحالة الانفعالية للفرد، إذا وجد التلاؤم بين جميع عناصرها، مثل الإتقان اللحني، والتوافق الصوتي، ومقياسذبذبة النغم والإيقاع، واللون النغمي. كما أن النغمات الموسيقية كتنظيم جمالي، تحدث نوعاً من التأثير السار، الذي يوحى بالسعادة والأمل كل الوقت، وتكون فيه حدود مناسبة من الشدة. أما إذا كانت أشد وأعلى وأسرع، فإنها تحدث الإثارة والتهيج الانفعالي، وإذا كانت أضعف، فإنها تحدث تهدئة الانفعالات لدى الفرد، وتجعله يشعر بالراحة والاطمئنان الجسدي والنفسي، ما يساعده على التفاعل مع الآخرين، والقيام بالمهام التي تطلب منه. كما ويمكن استخدام الموسيقا مع الأفراد المتخلفين الذين يشعرون بالتوتر والقلق، للتحكم بالانفعالات المختلفة التي يمرون بها، وتوجيهها التوجيه الصحيح، الذي يساعدهم في تخفيف حدة توترهم وقلقهم (زهران، 1997).

الأثر العقلي والتربوي والاجتماعي والنفسي للموسيقا

للموسيقا أثر عقلي، حيث أنها تثير خيال المستمع، خصوصاً إذا كانت مصحوبة بالغناء الذي يفسر معانيها، كما وللموسيقا أثرها في تنمية النواحي العقلية الخاصة، كالإدراك الحسي

والقدرة على الملاحظة، والقدرة على القراءة والكتابة الموسيقية، والذاكرة السمعية، والإحساس للمسّي والبصري، والتصور الحركي، والقدرة على الابتكار، والإدراك الزمني، وتحسين تعلم المواد الدراسية، وزيادة المعلومات. وتلعب الثقافة الموسيقية للمستمع دورا هاما في الاستجابة لها، أي أنها تتضمن عنصرا عقليا معرفيا، وكلما زادت المعرفة الموسيقية، كلما زادت هذه الاستجابة، لأن الفرد يستفيد من ثقافته وخبراته الموسيقية، من خلال الاستجابة التي تصدر عنه (ميخائيل، 1978).

وتعتبر الموسيقى أداة فعالة في التربية، فهي تساعد الطلاب في تعليمهم وفي لعبهم. ويستفاد من الموسيقى تربويا في مجالات متعددة، فمثلا: يستفاد منها في الرياضة المسموعة أو الصوتية، ويمكن القيام بعملية تحليل لكل مقطوعة موسيقية، من حيث القيمة الرياضية لها، وهذا بدوره يعتبر تدريباً للأذن والمخ، كما أن الموسيقى تنمي الإدراك الدقيق والتناغم، وتعلم التناسب، والنظام، كما وتعتبر الموسيقى مجالاً رحباً للابتكار. وقد دخلت الموسيقى في التربية والتعليم لتساهم وتساعد في النمو المتكامل للتعلم. وفي الآونة الأخيرة، تدخل في الخطة التربوية وتعطي أهمية متساوية مع باقي المواضيع والمواد التعليمية، وينظر إليها كأسلوب وطريق تربوي خاص لعلاج المشاكل السلوكية والتعليمية والتربوية، التي تظهر لدى بعض الأفراد الأسوياء، أو غير الأسوياء من الطلاب (العناني، 2002).

وللموسيقى أثر اجتماعي كبير وهام من ناحية التفاعل الاجتماعي، فهي تجعل الإنسان أكثر تفاعلا، وتسهل وتيسر عملية الاتصالات الاجتماعية بين الأفراد، وتساعد في إنجاز العمل التعاوني، وتتيح فرصة التنافس بشكل مقبول اجتماعيا. وفي الحالات الكثيرة، يصاحب الموسيقى غناء وأصوات بشرية، تردد أغنيات وكلمات محببة، الأمر الذي يفيد في نمو وتطور جوانب مختلفة لدى المستمع. كما وتثير الموسيقى النزعة القومية لدى الأفراد عند سماعها، كالسلام الوطني، والأنشيد القومية، وأغاني الحنين إلى الوطن، فهي تثير الانفعال وتجري الدموع لدى المغتربين. والموسيقى باعتبارها لغة الانفعال تؤثر بصورة واضحة في المشاعر، وترتبط بالفكر، والفكر يرتبط بالسلوك، والسلوك يرتبط بالأخلاق، ومن ثم ترتبط الموسيقى بالأخلاق وتهذيبها.

أما من الناحية العملية، فإن الموسيقى تعمل في مجالات العمل المتعددة والمختلفة، على زيادة الإنتاج أو التحصيل، إذا لم تكن جاذبة للانتباه، ومثيرة للعواطف والانفعالات الخاصة، حتى لا ينصرف العاملون عن عملهم، والقيام بالمهام التي تتطلب منهم. وما عدا ذلك فإنها تساعد على تسليّة العمال، وتنظم نشاطهم في العمل، وفي الأعمال الثقيلة، والحرف التي

تحتاج إلى مجهود كبير، فهي تثير الحماس وتقل الملل. والموسيقا أثناء الحروب تخفف عن الجنود العناء والتعب. والموسيقا الصاخبة والقوية تسرع ضربات قلوب الجنود، وتثير حماسهم لخوض المعركة لتحقيق النصر. وللموسيقا أثر واضح في تنمية النواحي الاجتماعية، وتنمية روح الفريق الذي يعمل سوية، وتنمية الإحساس بالمبادرة والمسؤولية الاجتماعية والثقة بالنفس، والإسهام في ملء وقت الفراغ، وفي نشاط تربوي موجه. أي أننا نستطيع القول، وبصورة مؤكدة أن الموسيقا تؤثر على سامعيها، وذلك حسب نوعها وارتباطها بالظروف القائمة المحيطة بكل فرد، (زهران، 1997؛ زهران، 1985؛ العزيم، 1973). ويقول الباحثون في هذا المجال، إن الموسيقا تلعب دوراً هاماً في العلاج النفسي للإنسان بصورة خاصة، وتتأثر بها الكائنات الأخرى بصورة عامة. وقد قال الكثيرون من الأطباء القدماء، إن الموسيقا تعتبر دواءً نافعاً لبعض الأمراض، خصوصاً العصبية والنفسية، لذلك يجب أن نستخدمها في جميع النواحي الإيجابية النافعة.

وقد شاع استعمال الآلات الموسيقية في بلاد الإغريق القديمة، خصوصاً استعمال القيثارة، حيث كانت تستعمل للعزف لتهدئة المشاعر المثيجة، وتسكين الأعصاب المضطربة، ومن ناحية أخرى فإن للموسيقا الهادئة الناعمة أثرها في تهدئة الأعصاب الثائرة، وتخفيف الضائقة النفسية. والواضح أن أكثر الناس يعملون على تهدئة أعصابهم بأنغام الموسيقا، فتهديهم وتبهجهم إذا كانت رقيقة ناعمة، وتثيرهم إذا كانت عنيفة وعاصفة. وفي الآونة الأخيرة أثبت العلماء بصورة مستمرة، أن تأثير الموسيقا لا يقتصر على الأعصاب وحدها، بل يتعداها إلى سائر أعضاء الجسم، وكذلك إلى أخلاق الفرد وطباعه، أي أنها تتناول صحة الإنسان وسعادته وكفاءته جميعها (عبد، 1998).

الموسيقا في التربية الخاصة وأهدافها العلاجية (Amir, 2001).

استعمال الموسيقا في إطار التعليم الخاص يهدف إلى تسليط الضوء على المواضيع المرتبطة بالفهم والإدراك، والعقل والمخ، والتصرفات، وتطوير القدرات التعليمية عند الأولاد الذين يدرسون في هذه الأطر. فمثلاً توجد أهداف نفسية للعمل مع الأولاد المختلفين، والتي تركز على الجوانب الشخصية، والمتشابهة والمختلفة لديهم. وأهداف عملية العلاج بالموسيقا العمل على تحسين القدرة على التركيز، والاهتمام بالقدرة على الانتباه، وتحسين المعرفة في مجالات مختلفة مثل: القراءة والكتابة والحساب والمعلومات العامة، والتغيير وتحسين التفكير، وتطوير وإصلاح اللغة والاتصال. أما أهداف التصرفات فإنها تتمركز في تغيير وتحسين

النماذج والأشكال السلوكية التي تصدر عن الأفراد على اختلاف قدراتهم، هذا بالإضافة إلى تقليص مستوى الفعاليات التي تعطى لهم، ورفع مستوى الأداء الوظيفي الذي يطلب منهم. وفي ما يلي عدة أهداف للعلاج في مجالات مختلفة (Amir, 2001).

وهذه الأهداف تنطبق إلى:

- مجال الإحساس النفسي، خلق الثقة بين المريض والمعالج، وأعضاء المجموعة، والأشخاص القريبين منه من خارج مجال العلاج. أي العمل على معرفة عالمه الداخلي وتوسيعه، ومعرفة إحساسه وشعوره وشخصيته، أي خلق اتصال مع طاقات إيجابية، ومعرفة الأحاسيس والمشاعر الموجودة لديه.
- العمل على تعميق إحساس الانتماء، بوساطة المشاركة بفعاليات موسيقية ناجحة. بالإضافة إلى تعميق الرغبة للعمل، وللتعليم، والاندماج بصورة أفضل وأكبر في المجتمع.
- تطوير وتحسين القدرة على التعبير الواسع للأحاسيس والمشاعر. أي تطوير القدرة لمعرفة الشعور الصعب، كالوعي والحزن والألم وخيبة الأمل وثورة الغضب، ومعرفة أسبابه. والعمل على تحسين وخلق تقدير ذاتي إيجابي، وتحسين الثقة بالنفس، والعمل على تقويتها، ثم تطوير فترة القدرة على التركيز، والقدرة على التقدم والتطور.
- تطوير النظام الداخلي، والعمل على إعطاء حق الأولوية لكافة الأحاسيس الداخلية، والوصول إلى وضع استقرار ذاتي. أي التخفيف من التصرفات غير المقبولة، والوصول إلى القيام بتصرفات عادية ومقبولة. والعمل على عدم إحداث أضرار شخصية للآخرين المحيطين به. وفي نفس الوقت وضع حد للتصرفات الصعبة والمرفوضة التي تصدر عنه، وتشجيع التصرفات الإيجابية والمقبولة.
- تطوير القدرة على المغامرة والجرأة، والمبادرة في القيام بالأشياء الجدية والمطلوبة. ثم العمل على تطوير المتعة والسعادة، وتحقيق الهدف الشخصي وتحقيق الآمال الشخصية.

المجال الاجتماعي

- تطوير وتحسين الاندماج الاجتماعي، وتحسين السيطرة الخصوصية. وتطوير القدرة على إشراك الآخرين في الإحساس والشعور الشخصي. وتطوير القدرة والمشاركة مع المريض أو مع أي شخص آخر موجود في العلاج.
- تطوير المعرفة الشخصية للآخرين، والقدرة على الخلق والإبداع. وتطوير الانتباه والحذر من المحيطين به، وفي نفس الوقت تطوير القدرة على الأخذ والعطاء، وإعطاء الدعم والمساعدة، والرد والنقد.
- تطوير القدرة على القيادة والمتابعة، والعمل على تحسين قدرة الإصغاء، في مجال اللغة والاتصال. وتحسين القدرة على التقليد، وخلق ثروة لغوية، وتوسيع القدرة لإبداء متطلبات، وتطوير القدرة لبدء الآمال، وتطوير تعبير اللغة الإيجابي والسلبى، ومعرفة العالم الذي نعيش فيه.
- تعلم مصطلحات المواد الخام، والعمل بها، وتعلم مصطلحات جديدة، أساسية وجبرية، ومصطلحات الوقت، وتعلم مصطلحات الشكل والألوان. وتعلم مصطلحات معينة مثل أيام الأسبوع وأسماء الأشهر ومواسم السنة.. الخ.
- تطوير وتنظيم عادات التفكير.

وفي حالة ظهور تخلف عقلي يقبل الأطفال والطلاب على الأنشطة الموسيقية بدرجة أكبر من الأنشطة الأخرى، ويختلف ذلك حسب درجة التخلف. والموسيقا كلغة لا كلامية تناسب الأطفال والطلاب الذين يعانون من تخلف عقلي، بسبب افتقارهم في معظم الحالات إلى القدرة على الاتصال، والاتصال بالموسيقا يؤدي إلى كسر حاجز اللغة بالنسبة للأطفال الذين يعانون من تخلف. وفي العادة يفضل الأطفال أو الطلاب الذين يعانون من تخلف عقلي العلاج الجماعي والحركي، لأنه يشعر بالقيمة والأهمية من خلال تفاعله مع الجماعة، كما ويشعر بالإنجاز والنجاح، ما يجعله يحس بالرضا وتقدير الذات. كما ويلاحظ أثر العلاج بالموسيقا، والحركة، والتعبير الذي يحدث لدى الأفراد على الوظائف النفسية والحركية التي تتأثر وتتغير بسبب تعرض الأفراد للعلاج بالموسيقا، وفي حالة المكفوفين بشكل خاص تفيد الموسيقا في عملية تحقيق التكامل بين السمع والحركة، الأمر الذي يساعد على الانطلاق، والثقة بالنفس، والنمو النفسي والاستقلال. وفي حالات الإعاقة الجسدية، مثل حالات القصور الحركي، فإن

الموسيقا المنشطة التي تصاحبها تدريبات حركية رياضية، تساعد على تقوية العضلات، الأمر الذي يساعد على استخدام الأطراف بطريقة معبرة، كما ويساعد الإيقاع واللحن على التآزر الحركي والتحكم المطلوب.

أما في حالات بطء التعلم، والتأخر الدراسي، فإن الموسيقا المنشطة والحركة، تعتبران من العناصر المشوقة للطلاب الذين لا يُقبلون على التعلم والتعليم، ويؤديان إلى تغيير ايجابي في مستوى القدرة الإدراكية، وفي جميع الحالات يفضل الاستماع للمقطوعات الموسيقية بمصاحبة الإيقاع الحركي والغناء البسيط، والعزف البسيط، وبطبيعة الحال تكون الآلات الموسيقية المستخدمة بسيطة ثلاثم وتناسب نوع الإعاقة والتخلف (زهران، 1980). أي أن الموسيقا تؤثر بصورة مباشرة على تطور جوانب كثيرة لدى الذين يعانون من تخلف عقلي، خصوصاً أنها تضمن وجود وسيلة اتصال مع الذين يعانون من التخلف ولم تتطور لغتهم، أو يعانون من عدم القدرة على الاتصال عن طريق الكلام، كما أن انعزال الذي يعاني من التخلف أو المعاق، وشعوره بالإحباط، لا يكون علاجه بشكل مثمر إلا عن طريق الموسيقا. ومن بين الجوانب والمهارات، التي تتطور لدى الذين يعانون من تخلف من خلال استعمال الموسيقا كأسلوب للعلاج، نذكر ما يلي:

1 — المهارات العقلية والحسية:

دلت نتائج الأبحاث التي أجريت في هذا المجال، أن التطور الموسيقي يساعد على بناء وتطور ما يسمى بالذكاء الموسيقي، لأن الجزء الأيمن من المخ يتأثر وينشط عند سماع الموسيقا، وحينما نتحدث عن هذه المهارات، يجب أن نتطرق إلى تطور الإنصات والذاكرة والإدراك.

• الإنصات

وهو مقدرة الفرد على الاستماع والتركيز في المادة المعروضة عليه، وهو الذي يعمل على تحديد المعلومات التي تدخل إلى جهاز الأعصاب، ويقصد بها المعلومات السمعية التي تدخل عن طريق الأذن، ومع التطور الذي يحدث مع الأطفال في مراحل النمو المختلفة، تزداد قدراتهم على تحديد المثيرات السمعية وتمييزها. وفي نهاية الأمر اختيار المناسب منها وإدخالها المكان المحدد لذلك، وتصبح جزءاً من خبرات ومعلومات الفرد. أما الفرد الذي يعاني من تخلف في تطوره الحسي، فإن قدراته الحسية والسمعية تكون متدنية، وحدث أي مثير سمعي خارجي يشده ويلفت انتباهه. لذا فإن تعرض الفرد الذي يعاني من تخلف لسماع

مقطوعات موسيقية ومعزوفات متنوعة ومنظمة وموجهة، يساعده على تنمية مهارة التخصص أثناء الإنصات، والذي يكون أسهل من الإنصات لأصوات التشويش والضجيج، والكلام العادي. أي أن تطور الوعي للأصوات التي تسمع من خلال الإنصات للموسيقا، يؤثر على عملية نمو وتطور الاستعدادات اللغوية لدى الفرد، ويكسبه في نهاية الأمر اللغة، رغم أنها عملية طبيعية، أي أن الموسيقا تساعد على اكتساب اللغة بشكل أفضل من اكتسابها من خلال التعرض البيئي، والذي يساعد على تطور اللغة، أيضا يساعد على الاستماع للأغاني التي تتميز بتكرار مفرداتها، وعلى إثراء اللغة، والتعرض بصورة واسعة وكبيرة إلى مفردات جديدة.

• الذاكرة

الذاكرة التي يتمتع بها كل فرد، هي التي تحدد نوع وكمية المعلومات التي توجد لدى الفرد، وهي التي تحدد كيفية تخزين هذه المعلومات، وتعمل على تنظيمها داخل الذاكرة، وكيف يمكن استخراج هذه المعلومات في المستقبل وعند الحاجة. أما بالنسبة للأطفال الذين يعانون من تخلف عقلي، فإن الذاكرة لديهم تكون أقل وأبطأ تطوراً وتقدماً من ذاكرة الأطفال العاديين، حيث أنه يواجه صعوبات في تحليل المعلومات السابقة، وهذه المشكلة تعتبر من أصعب وأكثر المشاكل التي تواجه الأطفال المتخلفين في حياتهم اليومية والتعليمية، لذلك فإن استعمال الموسيقا في تعليم الطالب الذي يعاني من تخلف، يساعده على تطوير ذاكرته، لأنه من السهل عليه تذكر المثيرات السمعية التي تمر عليه، خصوصا إذا كانت مرتبطة بنغم أو عمل دائم معين. أي أن الموسيقا تعمل على تنشيط ذاكرة الإنسان بصورة واضحة، لأنها تثير فينا جوانب كثيرة ومتعددة، ترتبط بما يحدث معنا يوميا.

• الإدراك

الإدراك هو عبارة عن عملية ذهنية تتطلب وجود قدرات عقلية جيدة، والأطفال الذين يعانون من التخلف العقلي يعانون من مشاكل في الحواس، لأن إدراك هذه الحواس يكون واضحا، ويدل على عدم قدرتهم على الإدراك التام لما حولهم من أشياء. لذا فإن استعمال الموسيقا لعلاج هذا المجال، يساعدهم على التطوير، لأنها تأتي كعامل محفز في عملية التعليم، ومن الممكن توظيفها من خلال فعاليات حركية عديدة، باستطاعة الأطفال القيام بها يوميا. ويؤدي تكرار مثل هذه الفعاليات إلى تطوير الإدراك لديهم بصورة نسبية.

• التطور الحركي

إن التطور الحركي لدى الأطفال يعتبر من الجوانب الأساسية والهامة التي لها تأثير على جميع جوانب التطور الأخرى، والتي بدونها يصعب على الطفل التقدم والوصول إلى المراحل اللاحقة التي تعتمد عليها اعتماداً كلياً. ويمكن أن يكون التطور الحركي عند الأطفال العاديين، والذين يعانون من تخلف، والمعاقين، ناجحاً نجاحاً واضحاً من خلال دروس الموسيقى أو العلاج بالموسيقا، إذا دمجت بين الحركة والإنصات للموسيقا، والموسيقا بصورة عامة تعمل على تطوير المهارات الحركية الآتية:

- مهارة فصل الحركات: والتي يقصد بها القيام بتحريك الأطفال لعضلاتهم، وذلك دون القيام بخلط بين الأعضاء المختلفة غير الملائمة للقيام بتنفيذ الحركة المطلوب القيام بها. ومن الطبيعي أن تعلم مثل هذه المهارات يتطلب الوقت والتكرار والصبر، لأنه من الصعب الوصول إليها بسرعة أو سهولة. وتساعد التمارين التي تُعطى من أجل تحقيق هذا الهدف على تنمية هذه المهارة، خصوصاً إذا ارتبطت مع أغنية معينة.. سهلة وخفيفة ومحبة للأطفال، مثل: " دخل أيدك جوة، طلع أيدك برة، هزها شوي"، فهذه الأغنية يقبل جميع الطلاب على الاشتراك بها، وتحقق أكثر من هدف، حيث يسمع الأطفال أصواتهم، ويحركون الأيدي والعضلات، ويتعلمون معنى جوة وبرة.
- مهارة التأزر الحركي والبصري: التأزر يكون إما حسيّاً حركياً مثل يد مع العين، أو أعضاء مع بعضها البعض، وهذه المهارة صعبة جداً بالنسبة للأطفال الذين يعانون من تخلف عقلي، ويشير العديد من المتخصصين في العلاج بالموسيقا للأطفال والطلاب الذين يعانون من تخلف، إلى أن الأغاني والألعاب الموسيقية والرقص، أو الإنصات للمقطوعات الموسيقية، جميعها تساعد بصورة ملحوظة في عملية تنمية هذه المهارات، التي تعتمد على التأزر؛ لأن الأطفال يحاولون القيام بأكثر من عملية في نفس الوقت، وتكرارها، وهذا يؤدي إلى تطورها النسبي لدى الأطفال.
- مهارة الدمج بين الحواس وجوانب الجسم: إن تطور هذه المهارة لدى الأطفال يساعدهم على تفضيل يد معينة، والسيطرة على مفاهيم الاتجاه المقصود، يميناً أو يساراً، والأغاني التي تتحدث عن هذه المهارة بالإضافة للحركة، تساعد على تطويرها بشكل سريع، لأن الأطفال يقبلون عليها بنوع من الرغبة والحماس، ويقومون بها دون انقطاع، والتكرار في عملية تعليم المهارات للأطفال بصورة عامة، والذين يعانون من

تخلف بصورة خاصة، ضروري جداً، ويعمل على الوصول إليها بسرعة، وخلال وقت قصير نسبياً.

المهارات الانفعالية الاجتماعية:

تشير نتائج الدراسات إلى أن التطور الشعوري الاجتماعي، الذي يحدث لدى الأطفال من خلال استعمال الموسيقى كوسيلة مساعدة، يتعلق بكل فرد وقدراته واستعداده، والرغبة لديه في التطور والتقدم، وبذلك فإن كل فرد ينفرد بدرجة تفاعله وتعامله مع الآخرين، وذلك تبعاً للفئة التي ينتمي إليها. لأن الموسيقى تعمل على تنشيط المشاعر المختلفة بأشكال ونسب مختلفة، والمعالج في هذا المجال، يجب عليه أن يحدد للفرد الإمكانية في التعبير عن مشاعره وتأثيراته الشعورية الخاصة، والتي تختلف عن الآخرين. أيضاً يساعد استعمال الموسيقى في العلاج على للوصول إلى الوعي الذاتي للمشاعر الموجودة لدى الفرد، ومن الصعب الوصول إليها دون الاستماع للموسيقى. كما وتساعد الموسيقى على التحرك مع اللحن والإيقاع، وهذا بدوره يعتبر نوعاً من تقوية العضلات عن طريق الحركات، والموسيقى أيضاً وسيلة للترويح عن النفس، وتهدئة الأعصاب، وتؤدي إلى الاسترخاء، بالإضافة إلى تعزيزها لثقة المتخلف بنفسه، وشعوره بقدرته على النجاح، والقيام بالأعمال المختلفة (الرحال، 1998).

استخدامات العلاج بالموسيقى

العلاج بالموسيقى يستخدم مع الأفراد، في الكثير من الحالات العادية وغير العادية، ويؤدي إلى نتائج متفاوتة، وذلك حسب قدرات ورغبات وميول الأفراد أنفسهم، والأعمال التي يقومون بها من أجل الاستفادة من العلاج. ومن الحالات التي تستعمل فيها الموسيقى نذكر ما يلي:

1 - حالات التخلف العقلي: يقبل الأطفال الذين يعانون من تخلف على الأنشطة الموسيقية التي يعدها ويقدمها لهم المعلمون والمرشدون خلال تواجدهم في المدرسة، وتفاعلهم مع بعضهم البعض، ويكون إقبالهم عليها بدرجة أكبر من الأنشطة الأخرى، التي تُعد لهم خصيصاً. ومن الجدير بالذكر أن المرشدين والمعلمين يقومون بإعداد برنامج تعليمي وعلاجي بالموسيقى، يتلاءم مع حالة كل من يعاني من تخلف، ويهدف لتخفيف تعبيرات سلوكية مرغوبة، تساعد في عملية التوافق الشخصي والاجتماعي للطفل. وتعتبر الموسيقى لغة خاصة، ومؤثرة بصورة واضحة. وبالرغم من كونها لا كلامية، فهي تتناسب الأطفال والطلاب الذين

يعانون من تخلف عقلي؛ لأنهم في معظم الحالات يفتقدون إلى القدرة الاتصالية العادية، ولأن الاتصال الموسيقي، يؤدي إلى كسر الحاجز اللغوي بالنسبة لجميع أفراد هذه العينة. لذا فإن الأطفال والطلاب الذين يعانون من تخلف عقلي يفضلون العلاج الجماعي بالموسيقا، لأنهم يشعرون فيه بقيمة ذاتية، وانتماء وعضوية في الجماعة، ويشعرون بالإنجاز، ويصلون إلى النجاح الذي يشعرون بالرضا عن الذات، فيدفعهم لتقديرها.

من ناحية أخرى يلاحظ التأثير الإيجابي والحسي للأداء الموسيقي في الوظائف النفسية الحركية وفق الاستجابات العصبية، التي تظهر عليهم ولديهم. وفي العادة تكون الموسيقا التي تقدم للأطفال والطلاب الذين يعانون من تخلف عقلي خالية من الفكر المجرد. وإن أفضل وأنسب المقطوعات الموسيقية، التي يمكن تقديمها للأطفال والطلاب الذين يعانون من تخلف عقلي، واستعمالها في عملية العلاج، تكون عبارة عن ألحان بسيطة، مصحوبة بالترار، ومصاحبة للإيقاع الحركي، والاستماع للغناء والعزف البسيط، إن أمكن ذلك، ويكون الأداء بسيطاً، مثل الاشتراك بالتصفيق، أو الحركة البسيطة التي تصاحب الموسيقا، أو دق الطبول، أو الغناء البسيط والسهل، الذي يمكن القيام به دون عناء أو حاجة للمهارات الخاصة.

2- حالات الإعاقَة: في مثل هذه الحالات تكون الموسيقا من أنجح وسائل الاتصال التي من الممكن استعمالها مع المعاقين، كما وأن للأداء الموسيقي قيمة علاجية خاصة، حيث يؤثر استعمال الموسيقا تأثيراً واضحاً في مراحل نمو الجوانب المختلفة للمعاق.

وللموسيقا قيمة تعويضية مطلوبة، خصوصاً في عملية العزف والاشتراك في العزف الجماعي من قبل الأطفال والطلاب الذين يعانون من تخلف عقلي، حيث يشعر المعاق الذي يشترك مع الجماعة بالعزف، بقيمته كعضو فعال وله أهميته ومكانته داخل المجموعة، ويكسبه الثقة بنفسه، ويشعره بقيمته، ما يجعله يُقبل على الحياة، ويحاول الاشتراك والقيام بالأنشطة والفعاليات التي يقدمها المعلمون، لأن الموسيقا تقدم للمعاق أشياء يستطيع أن يفهمها ويتجاوز معها، ويستمتع بها، ويفسرها كما يشاء، حسب إمكانياته، دون خوف أو قلق. وبطبيعة الحال، فإن استخدام العلاج بالموسيقا في حالات الإعاقَة، يعني استخدام الآلات الموسيقية البسيطة، التي تناسب الإعاقَة الموجودة عند الأفراد. أما في حالات الأطفال، الذين يعانون من مشاكل في النظر، فإن الموسيقا كفن مسموع، يسعى لتحقيق تكامل الأساليب السمعية والإحساس بالحركة، ويساعد على الانطلاق والاستقلال الاقتصادي والنمو النفسي، والتي تقف جميعها في المكان الأول في سلم الأولويات، التي يسعى الكفيف للوصول إليها،

حتى يصبح معتمدا على نفسه في كل شيء، ولكي لا يشعر بالنقص؛ بسبب المشكلة التي يعاني منها.

3- حالات الاضطرابات العاطفية: إن الأفراد الذين يعانون من هذه الاضطرابات، يمكن مساعدتهم وعلاجهم عن طريق استعمال الموسيقى، وذلك من خلال استماعهم إلى نوع الموسيقى المناسب لحالة الاضطراب التي يعانون منها، لأن الموسيقى تستهويهم لدرجة عالية، لأنها تضم لغة انفعالية تؤثر فيهم بصورة واضحة عندما يتعرضون لسماعها. لذلك يجب أن يعد لهم برنامج خاص، يهدف إلى تفرغ الطاقة الانفعالية، ويضم الموسيقى كعنصر من العناصر التي تساعد على تفرغ الطاقة الانفعالية لديهم، والتي يصعب تفرغها دون تعرضهم لسماع الموسيقى. أي أن الموسيقى تساعد على إخراج الطاقة الزائدة من الجسم، الأمر الذي يؤدي إلى التخلص من التوتر النفسي، والشعور بالهدوء والاطمئنان.

4 - اضطرابات النوم: يؤدي استعمال الموسيقى في حالات اضطرابات النوم، والشعور بالأرق، إلى شعور الفرد بالراحة والهدوء والاسترخاء، خصوصا الموسيقى الهادئة والنوم، التي يشعر الفرد المتخلف عند سماعها، بالنعاس والرغبة في النوم.

5 - أمراض الكلام: في الحالات التي يعاني منها الأطفال من أمراض الكلام، يمكن استعمال الموسيقى في عملية العلاج، حيث أنها تعتبر عنصرا مشوقا للطلاب، الذين يقبلون بسببها على المواد التعليمية بنوع من الرغبة. كما تؤدي الموسيقى إلى وجود ثغرات ايجابية، في مستوى السلوك الاجتماعي، ومستوى التحصيل المدرسي والتعليمي، ومستوى السلوك الانفعالي، الذي يصدر عن الطفل، ومستوى الأداء الحركي له، ومستوى القدرة الإدراكية لديه.

6 - حالات العصاب: في مثل هذه الحالات التي يعاني منها الأطفال، والتي يسيطر عليها القلق والخوف والاكنتاب وحالات الهستيريا، وحالات توهم المرض، فإن استعمال الموسيقى كوسيلة علاجية؛ يساعد في التغلب على جميع هذه المشاكل النفسية؛ ويؤدي إلى خفض هذه الحالات بنسبة عالية جدا، ما يشعر الطفل بنوع من الراحة، والهدوء، والاطمئنان، والتغلب على كل ما يؤدي إلى خلل في التوازن النفسي لديه.

7 - حالات الذهان: في حالات الأطفال الذهانيين، الذين يعيشون في عزلة عن العالم والمجتمع، فإن استعمال الموسيقى في علاجهم، وسيلة ممتازة، تساعد على الدخول والوصول إلى شعور الطفل ووعيه، وتؤدي إلى شعوره بالهدوء والراحة النفسية، وتبعده عن التوتر والانطواء والابتعاد عن الآخرين.

8 = حالات المرض النفسي والجسدي: تشير الدراسات إلى مدى أهمية استعمال الموسيقى كوسيلة علاج في مثل هذه الحالات، حيث أتضح بصورة لا مجال للشك فيها وجود علاقة قوية وخاصة بين الإيقاعات الموسيقية، وبين إيقاعات ضربات القلب، في حالات اضطراب الجهاز الغددي والجهاز النفسي، والتي يكون فيها للموسيقى تأثيرٌ كبيرٌ وواضحٌ، لأنها تساعد الطفل على الوصول إلى الهدوء والراحة، والتغلب على جميع أنواع التوترات وتأثيراتها (زهران، 1980).

أشكال العلاج بالموسيقى

يقسم العلاج بالموسيقى إلى قسمين أساسيين هما:

1. العلاج الفردي: يقوم هذا النوع من العلاج على التفاعل الموسيقي بين المعالج والمريض، ويركز على استغلال النشاط والحساسية الموسيقية الموجودة لدى المريض، أما المعالج فيهتم بالعمل على تعديل بعض الاستجابات، وأنماط السلوك المرضي، وذلك في إطار الخبرات الشخصية الفردية الموجودة لدى المريض، أي أن هذا النوع، يعتمد على العمل المباشر من جانب المعالج مع المريض، دون استخدام وسائل معينة، بمعنى أن العمل يكون وجهاً لوجه وبصورة مباشرة، والتي من خلالها يستطيع المعالج ملاحظة ومعرفة كل تغيير وتقدم يحدث لدى المريض، ويعمل بصورة مباشرة على استمرار العلاج أو توقفه، وذلك حسب الحاجة والضرورة.

إن هذا الشكل من أشكال العلاج، ضروري وهام جداً؛ لأن قسماً لا بأس به من الأفراد، يفضل على غيره، ولا يستطيع الاشتراك في أي نوع من أنواع العلاج الأخرى، لأنه يرغب في المحافظة على أشيائه الشخصية، ويرفض عرضها أو القيام بها أمام الآخرين، لأسبابه ومعتقداته الخاصة، التي تتمثل في عدم الثقة أو الارتياح من وجوده مع الآخرين (زهران، 1980).

2. العلاج الجماعي بالموسيقى: وهذا يعني أن توضع مجموعة من الأفراد في مكان واحد خاص، تم إعداده خصيصاً لهذه الغاية، ويتم فيه تعامل المعلم أو المرشد مع هذه المجموعة، على تحقيق أهداف خاصة، من خلال برنامج خاص أعد من قبل، والذي يتوافق مع قدرات وشخصيات ورغبات وميول الأفراد المشتركين، قدر الإمكان. ويأخذ هذا العلاج بالاعتبار اشتراك أفراد المجموعة بالعزف على الآلات

الموسيقية، بشكل جماعي، أو قيامهم بالمشاركة في الغناء، الأمر الذي يؤدي إلى شعور المشتركين بأنهم قريبون من مشاكلهم واضطراباتهم، ويثير حماسهم واهتماماتهم ورغباتهم في الاشتراك والتفاعل مع الجماعة، وهذا يؤدي إلى تنشيط حياتهم العقلية والانفعالية، التي تكون في العادة مهملة أو في حالة سبات. وأيضاً يصاحب العلاج بالموسيقا أنشطة أخرى جماعية، يقوم بها أفراد الجماعة؛ بهدف تقوية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. كما وتضم الخبرة الموسيقية الجماعية خصائص انفعالية، وانتباه عقلي وتأزر حسي وحركي، تؤدي جميعها إلى فائدة أكيدة، في الناحية الاجتماعية، وقد تدخل الموسيقا مع التمثيل كمشاركة، عندما يلعب الأفراد أدوارهم في الأنشطة التي تدل على المسؤولية والتعاون، وعندما تتم المشاركة الجماعية في خبرة مؤثرة، سهلة، وسارة، وجذابة، مثل الغناء الجماعي أثناء العزف، أو القيام بالتمثيل المسرحي، فإن هذا سيساعدهم في تطور ونمو السلوك الاجتماعي، خصوصاً عندما يتوقف أداء الفرد مع أداء الآخرين. ومن المؤكد، أن مثل هذا الوضع والوصول إليه يتطلب الوقت الكافي، والصبر، والتكرار، وعدم اليأس، والشعور بالإحباط من قبل المعلمين والمرشدين، وحتى من قبل المعالجين (زهرا، 1997).

طرق وأساليب العلاج بالموسيقا

أولاً: العلاج عن طريق سماع الموسيقا

في هذا الأسلوب من العلاج، نضع المريض في مكان خاص، ونسمعه مقطوعة موسيقية، ومن خلال استماع المريض للموسيقا، ينسى مرضه لفترة زمنية. ومن أجل هذه الغاية، نستعمل عدداً من الطرق منها:

— العلاج عن طريق الخلفية الموسيقية:

في هذا النوع من العلاج، تكون الموسيقا التي تستعمل وتسمع في العيادات والمستشفيات، هادئة، وتسمع عن طريق المذياع أو التلفاز، ويلاحظ في العلاج النفسي، أنه من السهل على المريض أن يتحدث إذا وجدت لديه خلفية موسيقية يعبر من خلالها عن نفسه، وعن مدى تأثير هذا النوع من الموسيقا عليه، والذي يساعده جداً، ويشعره أنه مميز في معرفته للموسيقا التي يستمع إليها.

أما العلاج عن طريق التأمل الموسيقي، فإنه يفترض أن المريض يفهم بالفن، ويهتم به بصورة عامة، وبالموسيقا بصورة خاصة. لذا على المعالج قبل البدء بالعلاج، والجلسة العلاجية، أن يتحدث مع المريض عن الجوانب المختلفة للموسيقا التي يستمعون إليها، مثل المؤلف الذي وضع الألحان أو المقطوعة الموسيقية، وفي نهاية هذه المحادثة، يتناقش المعالج مع المريض عن الانفعالات التي تثيرها الموسيقا لديه، وعن مدى تناسب الموسيقا مع انفعالاته، وهذا يعني أن على المعالج استعمال الموسيقا التي تتناسب مع الحالة الانفعالية للمريض، ومع المرض الذي يعاني منه، فمثلا في حالة المريض المصاب بالهوس، تستخدم الموسيقا المرححة، وفي حالة المريض المصاب بالاكتئاب، تستخدم الموسيقا الحزينة التي تتناسب مع وضعه النفسي (زهران، 1980).

والعلاج عن طريق الاسترخاء مع الموسيقا الهادئة، يحضر فيه المريض إلى المكان المعد خصيصا للعلاج، ويستلقي على سرير خاص، وفي هذه الأثناء، تعزف الموسيقا الهادئة التي يشعر معها المريض بالراحة الجسدية وال نفسية والاطمئنان، ويدفعه ذلك إلى الاسترخاء والهدوء والراحة، ثم إلى النوم، ويستمر عزف هذا النوع من الموسيقا، إلى أن يستيقظ المريض من نومه بصورة تدريجية.

ثانيا: العلاج عن طريق استعمال العزف الموسيقي

في هذا النوع من العلاج يقوم المريض بنفسه بأداء وعزف مقطوعات موسيقية، ويحدث ذلك بعدة أساليب منها:

العلاج بالأداء الموسيقي: في هذا النوع من العلاج، يُعطى المريض الفرصة للقيام بالأداء الموسيقي، وذلك من خلال عزف الموسيقا بصورة فردية، لما يريد أن يعزفه هو، أو ما يطلب منه عزفه، أو العزف الجماعي، حيث يقوم بالعزف مع مجموعة من الأفراد، ما يرغبون في عزفه، أو ما يطلب منهم. ومهما كان نوع العزف، فإنه يتطلب التدريب المسبق على المقطوعات الموسيقية، أو الأغاني الشعبية. والتدريب الجماعي بحد ذاته يفيد الفرد في التغلب على الوحدة، والشعور بالمرض والألم الدائم، لأنه يقوم بعمل شيء ما، وبرفقة الآخرين، الذين يتحدث معهم، ويؤثر فيهم، ويؤثرون فيه.

أما العلاج بطريقة الابتكار الموسيقي، فإنه يحدث من خلال تعامل الفرد أو الجماعة مع الموسيقى، حيث يقوم المريض بالأداء الموسيقي، فتكون الموسيقى عبارة عن الوسيلة التي يستطيع المريض بمساعدتها الوصول إلى التحويل الانفعالي، الذي يساعده في تخفيف الصراعات الشخصية والاجتماعية الموجودة لديه، أي أن الاستماع للموسيقا، يساعده على ابتكار أنواع جديدة من الموسيقا، يستطيع بواسطتها التخفيف عن نفسه من الألم والمصاعب التي يشعر بها، من ناحية أخرى، يستطيع أن يمزج بين الأداء الموسيقي والابتكار الموسيقي للتعبير عن الانفعالات الشديدة التي يمر بها، وتؤثر عليه بصورة أو بأخرى.

والعلاج بالموسيقا المندمج مع العلاج النفسي، يقوم من خلال العلاج بالموسيقا، على أساس الاعتماد على نظريات العلاج النفسي، أي أن المعالج يقوم باستعمال الموسيقا أثناء قيامه بالعلاج النفسي مع المريض، حيث يستمع المريض للموسيقا أثناء تحدث المعالج النفسي معه. لأن الموسيقا تساعد على الهدوء والاطمئنان والشعور بالراحة النفسية، وتساعد في دفع المريض للتفاعل مع المعالج؛ الأمر الذي يؤدي في نهاية العلاج إلى النتائج الإيجابية، التي يسعى كل من المريض والمعالج للوصول إليها (زهران، 1997). ويستخدم العلاج بالموسيقا الذي نتحدث عنه، مع جميع الأفراد، حتى ولو اختلف المرض الذي يعاني منه كل فرد، ولا يتوقف عند عمر معين أو حالة اجتماعية خاصة، مهما كانت وكان تأثيرها، ومن الحالات التي تعالج بالموسيقا ما يلي:

— حالات الاضطرابات العاطفية، والتخلف العقلي، واضطرابات التعلم، والحركة الزائدة.

— حالات الاضطرابات العصابية، مثل القلق والاكتئاب والهستيريا.

— حالات الاضطرابات الذهانية، مثل الفصام والهوس.

— حالات المرض النفسي والجسدي، مثل اضطرابات الجهاز الدوري، والجهاز

التنفسي، وجهاز الغدد (كمال، 1994).

كما وتستعمل الموسيقا كعلاج مساعد في الكثير من الحالات المرضية التي يعاني منها الأفراد، أي أنها تستعمل مع طرق العلاج الأخرى مثل: العلاج الطبي النفسي، أو العلاج الطبي بصورة عامة، بحيث يدعم كل واحد منها الآخر. وفي مثل هذه الحالة تكون الموسيقا علاجاً مصاحباً ومساعداً لأنشطة علاجية أخرى، أي أنها لا تكون النشاط الأساسي والرئيس في عملية العلاج. وهذا النوع بالذات، يحتاج إلى اختيار المقطوعات الموسيقية التي تتفق مع

العلاج المصاحب، وتساعد على الوصول إلى الشفاء، أو تعطي نتائج إيجابية. فمثلا استخدمت الموسيقى كعلاج مساعد في إحداث التنويم الإيحائي، حيث تكون الموسيقى عند التنويم هادئة، وتكون مرحلة ومنشطة عند إنهاؤها. كذلك تدخل الموسيقى في طرق وأساليب العلاج المستعملة في المستشفيات بصورة عامة، ومستشفيات الأمراض النفسية والعقلية بصورة خاصة، حيث يقسم المرضى إلى مجموعات حسب شخصياتهم وأمراضهم، ويقدم لكل مجموعة العلاج المناسب لها، والذي تحصل منه على نتائج إيجابية.

من ناحية أخرى من الممكن أن تدخل الموسيقى كطريقة للعلاج في المجالات التربوية، حيث تدخل في عملية العلاج باللعب لدى الأطفال في المراحل المختلفة، والذين يعانون من الاضطرابات والانفعالات والمشاكل السلوكية، ويكون العلاج بالموسيقى ذا أهمية عندما يكون مشتركا مع العلاج النفسي والتربوي للأطفال، ومع الإرشاد النفسي خلال وقت الفراغ. وتعتبر الموسيقى علاجاً مساعداً مفيداً، حين تستعمل مع أساليب العلاج الجماعي، أي العلاج الذي تشترك فيه مجموعة من الأفراد، من خلال قيامهم بعمل مشترك، مثل العلاج بالتمثيل النفسي المسرحي، والرقص العلاجي الجماعي المميز، خصوصا الشعبي منه. كما وأن للعلاج بالموسيقى الهادئة أثراً فعالاً واضحاً، عندما يكون مصحوباً بنوع من الاسترخاء الذي يدخل أيضاً في العلاج النفسي، الذي يهدف إلى تحرير المريض من الأغلال التي يعاني منها، ويؤدي إلى التقليل من آثار سيطرة الاضطرابات الانفعالية، والأفكار الوسواسية، والهوسات، والسلوك الغريزي، وجميعها من الممكن أن تسيطر على الفرد وتؤثر عليه.

ومن المؤكد أن العلاج بالموسيقى مهم، وله دور فعال في المرحلة التي تأتي بعد إجراء أنواع العلاج المختلفة، مثل النفسي، أو الطبي النفسي، أو الطبي (يعقوب، 1990).

أثر الموسيقى في تعليم الأطفال والطلاب الذين يعانون من تخلف وإعاقة

للموسيقى أهمية ومكانة وأثر واضح في عملية تعليم الأطفال بصورة عامة، والأطفال الذين يعانون من إعاقة ما والمتخلفين بصورة خاصة، وتظهر هذه المكانة والأهمية، عند تدريسهم بعض المهارات الأساسية والترويحية، أو تعليمهم الموسيقى ذاتها، أو تعليمهم الأمور المهمة في حياتهم، ويظهر ذلك بصورة واضحة لكل من يعمل مع هؤلاء الأطفال، الذين يعانون من تخلف، أو المعاقين، ومدى رغبتهم وميولهم لسماع الموسيقى والغناء، وذلك من خلال تفاعلهم معها، وتأثرهم بها، وما يحدث لديهم من ردود أفعال عند سماعها. لذا فإن المعلم أو المرشد

يستطيع استغلال هذا الوضع، عندما يقوم بتعليم وتدريب الأطفال الذين يعانون من تخلف على الكثير من المهارات الحياتية الأساسية. من ناحية أخرى، يستطيع المعلم استغلال رغبة وميل الأطفال المتخلفين والمعاقين لسماع الموسيقى، ويقوم بتدريبهم وتعليمهم جوانب عديدة مهمة بالنسبة لهم، مثل:

1. التعرف على الكثير من الأصوات ومصادرها، من خلال استماعهم للموسيقى، مثل أصوات الحيوانات على اختلاف أنواعها، أو صوت جرس المدرسة. والمعلم من جانبه، يحاول تعليم هؤلاء الأطفال القيام بتقليد هذه الأصوات، وكيف تخرج، وكيف نقوم بإخراج الأصوات المنخفضة والعالية.

2. من خلال الاستماع للموسيقى، يستطيع المعلم أن يساعد الطفل المتخلف على تعلم بعض الكلمات والحروف، وكيفية لفظها، خصوصاً الكلمات الأساسية والسهلة. أيضاً من خلال الاستماع للموسيقى وحفظ بعض الأغاني، نعمل على تقوية الذاكرة لدى مثل هؤلاء الأطفال. وحتى يستطيع المعلم القيام بعملية تعليم الأطفال الذين يعانون من تخلف بنجاح وفاعلية، يجب أن تتوفر الشروط الأساسية، التي تؤدي إلى النجاح في الوصول إلى الأهداف المنشودة من تعليم مهارة الموسيقى مثل:

- محاولة تعليم هؤلاء الأطفال القدرة على الاستماع لعدد كبير من الأصوات المختلفة، والتركيز على ما يستمع إليه، وهو في حالة إغماض للعينين، ثم نقوم بتكرار هذه الأصوات، في حين يركز المعلم على مصدر هذه الأصوات، ويجب أن تكون هذه الأصوات مألوفة للطفل، وذلك من خلال استماعه إليها في حياته اليومية، مثل أصوات الحيوانات المختلفة، أو وسائل النقل، أو الأصوات البشرية، وهذه الأصوات جميعها موجودة في المحيط الذي يعيش فيه (ورنر، 1992).

- محاولة تعليم هؤلاء الأطفال كيفية إخراج الأصوات المختلفة التي يسمعونها، وهذه العملية بالنسبة لهم، قد يكون فيها نوع من الصعوبة في البداية، وتأخذ الوقت الكثير، ويكون المعلم بحاجة إلى التكرار المتواصل، وبخاصة إلى الصبر والاستمرارية، لأن الأطفال الذين يعانون من تخلف بطبيعتهم بطيئو التعلم والفهم، وقدرتهم ضعيفة جداً. وبالرغم من ذلك، فإن عملية تدريبهم تعتبر من الأمور المهمة التي يجب على جميع المعلمين والعاملين في التربية الخاصة، على اختلاف وظائفهم وقدراتهم وإمكانياتهم، القيام بها، بالرغم من صعوبة تعليم هؤلاء الأطفال، إلا أنهم يجدون المتعة عندما

يستمعون إلى هذه الأصوات، وبصورة متكررة. ويستطيع المعلم عندما يقوم بتعليم أو تدريب هؤلاء الأطفال على إخراج الأصوات، استخدام الطرق الآتية:

1. إخراج الأصوات عن طريق الفم، أي أن المعلم يستطيع تدريب كل طفل على إخراج الأصوات بنفسه، بأن يعطيه الفرصة للقيام بسماع الأصوات التي يستمع إليها.
2. إخراج الأصوات المختلفة عن طريق استخدام أعضاء الجسم المختلفة، والمقصود هنا، إعطاء كل طفل الفرصة للقيام بالتجربة بنفسه، حيث يطلب منه التصفيق، أو استعمال القدم للضرب على الأرض.
3. إخراج الأصوات عن طريق استخدام الأدوات المنزلية المختلفة، والتي يؤدي استعمالها إلى إخراج الأصوات على أنواعها، مثل استعمال الملاعق والشوك، أو اللعب المعدنية، أو المفاتيح، وجميعها يؤدي استعمالها إلى إخراج الأصوات المتنوعة.

• بعد التدريب على الأصوات المختلفة وإمكانية استخدامها، تأتي مرحلة استعمالها من جانب الأطفال المتخلفين، حيث على المعلم أن يقوم بتكوين ما يسمى بالفرقة الموسيقية من هؤلاء الأطفال، ثم يقوم بما يلي:

1. توزيع الأدوار الصوتية على الأطفال، أي يعطي كل طفل الأصوات التي يجب عليه إخراجها، وذلك حسب ما تم تعليم وتدريب الطفل عليه.
2. على المعلم أن يمزج هذه الأصوات، ويكون منها لحنًا معينًا، يجذب انتباه الأطفال إليه، ويجعلهم يستمعون إليه.
3. على المعلم أن يحاول اختيار بعض الكلمات التي يريد من الطفل المتخلف أن يتدرب على نطقها.

• بعد المرور بالمراحل السابقة، تأتي المرحلة الهامة بالنسبة للطفل، والتي لها التأثير الكبير على تطوره الجسدي، وهذه المرحلة تدعى مرحلة الرقص على أنغام الموسيقى، وهي تؤثر على الجوانب الآتية:

1. الرقص على أنغام الموسيقى يساهم مساهمة كبيرة وواضحة على زيادة مرونة جسم الطفل المتخلف، وعلى عملية التوازن والتوافق والتآزر بين الحركات، التي تصدر عن القدمين واليدين والعينين.

2. إن قيام الطفل الذي يعاني من تخلف عقلي بالرقص على أنغام الموسيقى، يساعد في تعليم الطفل القيام بتنفيذ الأوامر الصادرة إليه، والمطالب التي تطلب منه، وذلك خلال ما يلي:

- أن يطلب المعلم من الطفل القيام بحركات معينة، عندما تتوقف الموسيقى التي يستمع إليها، بصورة فردية أو جماعية.
- أن يطلب المعلم من الطفل الوقوف على قدم واحدة.
- الوقوف على أصابع القدمين.
- أن يحني جسمه إلى الأمام أو اليسار أو اليمين.

3. من خلال الموسيقى، يقوم المعلم بتعليم وتدريب الطفل المتخلف على تقليد ما يحدث أمامه من أحداث، وذلك من خلال الطلب منه أن يقلد الأمور الآتية:

- القفز مثل الآخرين.
- الدوران حول نفسه.
- التصفيق.
- المشي بسرعة، أو المشي ببطء.

4. من خلال الرقص على أنغام الموسيقى، يقوم المعلم بتدريب الطفل الذي يعاني من التخلف، على التأقلم مع البيئة المحيطة به، ويقوم بتعليمه الألوان والأعداد، من خلال الطلب منه أن يعطيه اللعبة البيضاء أو الوردية الحمراء، أو من خلال سؤاله: أين الباب أو الطاولة؟ أو: أين الطاولتان أو الكرسيان؟ وذلك عند الانتهاء من عزف الموسيقى (الزيود، 1995).

المراجع

- أبو الحب، ض. (1970). الموسيقى وعلم النفس. بغداد: مطبعة التضامن.
- جولي، ج. ومان، و. (1985). الموسيقى في كل الأوقات. تل-أبيب: مكتبة معريف.
- حمزة، س. (1998). دليل البدائل الطبية: " الطب الكلي ". بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.
- الرحال، ض. (1998). الموسيقى وتعليم المعاقين. الكويت: العربي، 478.
- زهران، ح. (1980). العلاج بالموسيقى: دراسة استطلاعية، ودعوة للبحث والتطبيق. القاهرة: عالم الكتب.
- زهران، ح. (1980). التوجيه والإرشاد النفسي. ط2، القاهرة: عالم الكتب
- زهران، ح. (1997). التوجيه والإرشاد النفسي. ط3، القاهرة: مطابع السجل العربي.
- زهران، ح. (1985). العلاج بالموسيقى. عمان: دار الفكر.
- الزيود، ن. (1995). تعليم الأطفال المتخلفين عقليا. ط3، عمان: دار الفكر.
- شحاته، ع. (1999). التأهيل المهني للمتخلفين عقليا. القاهرة: الدار المصرية، ص27-47.
- عبد، س. (1998). مشكلات الإنسان في التحليل النفسي. ط2، دار الآفاق الجديدة، سوريا.

العناني، ح.(2002).**الفن والدراما والموسيقى في التعليم للطفل**. عمان: دار الفكر النشر والتوزيع.

فؤاد، ز. (1980). **الثقافة السيكولوجية**. القاهرة: مكتبة مصر .

كمال، ع. (1994). **العلاج النفسي قديما وحديثا**. القاهرة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

كلاس، ل. (2001). دور العرب في معالجة الأمراض العقلية والعصبية. العدد 1، **المجلد الثالث: المجلة الالكترونية**.www.hayatnafs.com

ميخائيل، ن. (1973). **أثر الموسيقى، الإيقاع والنغم في تخفيف الألم والمرض**. القاهرة: المعهد العالي للتربية الموسيقية.

ميخائيل، ن. (1978). **الموسيقى في علاج الأمراض**. القاهرة: جامعة حلوان.

ورنر، د. (1992). **رعاية الأطفال المعوقين**. القاهرة: الانجلو المصرية.

يعقوب، ل. (1990). **الطفل والحياة**. ط1، القاهرة، بيروت: الدار المصرية اللبنانية.

Alvin, G. (1975). **Music Therapy**. London: Hutchinson.

Amir, D. (2001). **Meeting the Sounds, music Therapy: Practice, Theory and Research**. Jerusalem: Hebrew university

Bernstein,L.(1966).**The Infinite Variety Of Music**. New York: Simon &Schuster.

Bruscia, k. E. (1987). **Improvisational Models of Music Therapy**. Illinois: Charles c. Thomas, spring field.

Critchley, M. & Henson, R.A. (eds.) (1977). **Music and the Brain, Studies in The Neurology Of Music**. London: William Heinemann medical Books.

Goston, E.T. (ed.) (1968). **Music in Therapy**. New York: Macmillan.
Kenny, c. (1982). **The Mythic Artery**. California: Ridgeview Publishing CO., Adascadero.

Masserman, J. (1966). **Modern Therapy of personality Disorders**. *Dubuque*, Iowa, WC. Brown.

Michel, D.E. (1977). **Music Therapy: introduction to therapy and special education through music**. Springfield, IL: Charles C Thomas.

Noy, P. (1967). The psychodynamic meaning of music II. **Journal of music Therapy**, 4(1), 7 -23.